ارشيف

منهج البحث التاريخى

(التاريخ القديم)

اعداد

دكتور

حسن أحمد حسن

مدرس التاريخ اليونانى والرومانى

بكلية الآداب - جامعة عين شمس

٢٠٠٣ - ٢٠٠٤

تمهيد : التاريخ ماهيته وموضوعه

ان التاريخ هو السجل الشامل الذى يرصد موكب البشرية منذ نشأة الكون، وحتى عصرنا الحالى، فهو يرصد كل ما يتعلق بالبشر منذ بدأوا يتركون آثارهم ، وكل ما يتعلق بهم من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية، وحفظ هذا كله عن الأجيال السابقة لكى يقدمه للأجيال اللاحقة .

وكلمة « تاريخ » العربية بمعناها الحديث هى ترجمة لكلمة اليونانية التى ظهرت للمرة الاولى فى بلاد اليونان خلال القرن السادس قبل الميلاد، ومن هذه الكلمة اشتقت الأصول المختلفة فى اللغات الاوربية الحديثة مثل كلمة " History " الانجليزية وكلمة " Histoire " الفرنسية .

وهذه الكلمة اليونانية فى الأصل كانت تعنى البحث فى أصول الاشياء التى تهم المواطنين فى بلاد اليونان مثل البحث فى اصول النظم السياسية . ثم تطور معنى هذه الكلمة فأصبحت تعنى البحث والاستقصاء عن حوادث الماضى . ويعتبر الكتاب الذى الفه « هيرودوت » خلال القرن الخامس قبل الميلاد هو أول كتاب تاريخى يحمل هذا الأسم والمعنى، ولذا فإن البعض اطلق على « هيرودوت » لقب أبو التاريخ .

اما كلمة « التاريخ » أو « التأريخ » أو « التوريخ » العربية فقد اختلف « الباحثون » حول أصلها . فالبعض يرى ان لفظ « التأريخ » مشتق من

كلمة « ياريخ » العبرية التى تعنى « القمر » . فى حين يرى البعض الآخر انها كلمة فارسية الأصل مشتقة من كلمة « ماه » (القمر)، و « روز » (اليوم) بمعنى حساب الأيام والشهور وفقا للقمر وظهوره واختفائه .

والأرجح ان كلمة « تاريخ » العربية مشتقة من كلمة « ارخ » أو « ورخ » التى كانت شائعة فى بلاد اليمن وتعنى « الشهر » أو « القمر » أو « إله القمر »، وذلك لأن عرب الجنوب كانوا يستخدمون التقويم القمرى .

غير ان هذه الكلمة بهذا المعنى لم تظهر فى الادب الجاهلى ولا فى القرآن الكريم ولا فى الأحاديث النبوية، وكانت المرة الأولى التى ظهرت فيها هذه الكلمة بهذا المعنى عندما أدخل الخليفة عمر بن الخطاب التقويم الهجرى . فالروايات الإسلامية تروى ان رجلا مسلما قدم من اليمن فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وقال له ‹‹ رأيت شيئاً يسمونه « التاريخ » يكتبونه من عام وشهر ›› فأعجب عمر ذلك وقال ‹‹ هذا حسن فأرخو ›› أى استخدموا هذا الأمر لتحديد التواريخ .

وقد وردت تعريفات عديدة لكلمة التاريخ يمكن تلخيصها فى أمرين. الأمر الأول التاريخ العام وهو الذى يسجل أهم حوادث الأمم مرتبة حسب العصور من القديم إلى الحديث . والأمر الثانى هو التأريخ الذى يعنى تحديد زمن وقوع الحوادث تحديداً دقيقاً باليوم والشهر والسنة . وهو النظام الذى سارت عليه الحوليات وهى كتب تاريخية عامة تتبع نظاما معينا فى سرد الأحداث التاريخية وفقا للأيام والشهور والسنين عاما بعد عام .

فائدة دراسة التاريخ

والتاريخ إذ هو المرآه التى تعكس لنا أحداث الماضى البعيد التى نرى فيها حياة الأمم والشعوب التى لم نعاصرها، ولولا التاريخ كما يقول الأصفهانى ‹‹ لانقطعت الوصل وجهلت الدول ›› .

غير ان بعض العلماء الطبيعيين ينظرون إلى التاريخ نظرة سيئة، فهم يرون انه يشكل خطراً على السلام، ويحول دون التفاهم بين الشعوب. ذلك ان قرأة « نابليون بونابرت » للتاريخ القديم وبصفة خاصة سيرة الأسكندر الأكبر جعلته يفكر فى تقليده ويتوسع فى اوربا والشرق مما أدى إلى قيام حروب عديدة أدت إلى مآسى فى العالم خلال فترة نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر .

ومن ناحية أخرى فان قرأة التاريخ – من وجهة نظر هؤلاء – تولد الذكريات المريرة بين الشعوب وتزيد من الأحقاد عندما يتذكر شعب مثل الفرنسيين كيف ان بلادهم قد تعرضت للغزو على يد الألمان ثلاث مرات متتالية خلال الفترة من عام (١٨٧ – ١٩٤٠) .

كذلك يعيب هؤلاء على التاريخ انه ينظر دائما إلى الوراء، ودراسة فترات كانت فيها البشرية غير متقدمة حضارياً .

ويتهمون التاريخ بانه يحشو عقول دارسيه بحوادث وتورايخ لافائدة منها . فهو لا يهتم إلا بالتركيز على الأحداث السياسية والشخصيات

البارزة مثل الملوك والقادة العسكريين، فى حين انه لا يهتم بدراسة الفكر البشرى فى ميدان العلم والاقتصاد والفن والأدب .

كذلك يرى هؤلاء ان التاريخ، وخاصة القديم، به الكثير من الخرافات والأساطير التى ليس لها أى أساس من الصحة .

والحقيقة ان هؤلاء العلماء مخطئون فى ظنهم لانه لو لم يكن التاريخ مفيداً، ما بقى علما من أهم العلوم الانسانية، فالناس كما يقول « كونفيوشيوس » حكيم الصين فى القرن السادس قبل الميلاد، ‹‹ يدرسون الماضى (التاريخ) بهدف تطوير أنفسهم ›› وكما قال الامام « الشافعى » ‹‹ من حفظ التاريخ زاد عقله ›› . ودراسة التاريخ توسع مداركنا وتنمى مواهبنا الفكرية وتزيد درجة الوعى السياسى والاجتماعى والثقافى للفرد .

وطلب المعرفة بصفة عامة، ومعرفة الماضى المجهول بصفة خاصة، غريزة عند الانسان . وهى ممتعة وشيقة ومفيدة . فدارس التاريخ يستطيع ان يرى دون غيره كيف تتحرك حضارات العالم ويشاهدها وهى تظهر وتنمو وتزدهر ثم كيف تضعف وتضمحل . وكيف ان الحضارات لا تموت، وانما تتوارث وتتفاعل، فالحضارة الفرعونية العريقة كان لها فضلاً كبيراً على الحضارة اليونانية خلال العصور القديمة، كما ان العرب طوروا حضارتهم خلال العصور الوسطى بفضل ما نقلوه عن علوم اليونان، وغيرهم من شعوب الحضارات القديمة . وفى العصور الحديثة اعتمدت اوربا فى نهضته على تراث الحضارة الإسلامية التى حافظت

على التراث اليونانى الذى ضاع خلال العصور الوسطى المظلمة فى اوربا عندما تخلصت الكنيسة هناك من كل ما يمت بصلة إلى حضارة اليونان والرومان الوثنية .

كما ان التاريخ إذا كان مجيداً يمكن ان يكون باعثا للاحياء القومى، ومحركا لطاقات الشعوب لان به وفيه تتمثل الكبرياء الوطنى، ففى اعمال الأجداد العظام دائما نموذجا اسمى . فعندما نسترجع غزوات الرسول ﷺ ، وفتوحات خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وانتصارات صلاح الدين الأيوبى، وسيف الدين قطز، تلهمنا العودة إلى سيرة الأجداد المجيدة .

كما ان دراسة التاريخ مهمة للكشف عن الحاضر وتفهمه فالانسان لا يستطيع ان يفهم القضايا والمشاكل المعاصرة إلا إذا رجع إلى جذورها التاريخية . فاننا على سبيل المثال لا يمكن ان نفهم المشكلة الفلسطينية إلا إذا رجعنا لجذور هذه القضية وبصفة خاصة منذ بدأ الصهاينة فى نهاية القرن التاسع عشر يفكرون فى إقامة وطن قومى ليهود العالم . فالحاضر هو نتيجة لتفاعل أحداث الماضى، كما ان المستقبل سوف يكون نتيجة لتفاعل أحداث الحاضر .

ومعرفة الماضى تكسب الانسان خبرة السنين الطويلة، وبالتالى تجعله قادراً على الاستفادة من مزايا السابقين، وتجنب الوقوع فى الأخطاء التى وقعوا فيها . الحروب المريرة التى خاضتها الدول الأوربية فيما بينها خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م) والثانية (١٩٣٩ –

١٩٤٥) التى جرت على للعالم بصفة عامة والأوربيين بصفة خاصة الخراب والدمار، ومع ذلك لم تكن هذه الحروب سببا فى تولد الأحقاد والكراهية، واشتعال الحروب الجديدة بين الاوربيين، بل على العكس كانت دراسة هذه الحروب ونتائجها دافعا لهم لإقامة السلام والاتحاد على النحو الذى أدى فى نهاية الأمر إلى إقامة الوحدة الاوربية الحالية، التى نتاج تعلم الاوربيين من دروس التاريخ .

كذلك فان دراسة الحضارات السابقة ترينا كيف تطور الانسان عبر العصور فى مختلف نواحى الحياة مثل تطور النظم السياسية والقانون والفلسفة والعمارة والآداب والعلوم . ومن المعروف انه ليست كل الحضارات القديمة متخلفة فالحضارة الفرعونية القديمة بلغت شأوا كبيراً فى مختلف العلوم لايزال العلم الحديث يقف عاجزاً حتى الآن عن معرفة أسرار بعضها مثل بناء الأهرامات والتحنيط وبعض الظواهر الفلكية العجيبة التى توصلوا اليها منذ آلالاف السنين .

ولكى ندرك أهمية الماضى وضرورة دراسة التاريخ فلنفرض جدلا اننا استطعنا بطريقة ما ان نقطع صلتنا بالماضى، واننا امكننا ان ندمر كل آثار العمران الراهنة، وكل تراث البشرية العلمى والأدبى . فما هو مصيرنا؟ . يجيب « الأصفهانى » على هذا السؤال الافتراضى بانه ‹‹ لولا التاريخ لانقطع الوصل وجهلت الدول ›› . وبالتالى يكون على الانسان فى هذه الحالة ان يعود لكى يبدأ من جديد فى تعلم الأشياء التى كان قد تعلمها على مر العصور منذ آلاف السنين .

كذلك فان اعتماد المؤرخين على الأساطير فى دراسة التاريخ القديم ليس عيبا فالخرافة فى حد ذاتها كانت لقرون طويلة بمثابة حقائق يؤمن بها القدماء وتعبر عن أفكارهم وآرائهم فى الحياة والطبيعة والاله . والأسطورة تعد مصدراً هاماً من مصادر دراسة التاريخ القديم، فعلى سبيل المثال كانت اسطورة هوميروس فى الالياذة هى الدافع القوى الذى دفع عالم الآثار « هنرى شليمان » للقيام باكتشافاته من أجل العثور على مدينة طروادة، وبذلك أصبحت الأسطورة واقعة حقيقية بعد الكشف عن مدينة طروادة ولم تعد مجرد اسطورة من نسج الخيال .

كذلك كانت للأساطير تأثيرات كبيرة على الفن اليونانى والرومانى، فقد استنبط منها الشعراء وكتاب المسرح والنحاتين الكثير من روائعهم الفنية . ونحن لا يمكننا ان نفهم التاريخ اليونانى وعلوم وآداب وفنون وعادات وتقاليد اليونان فهماً جيداً إلا إذا درسنا أساطيرهم وتفهمناها جيداً .

قضية هل التاريخ علم أم فن

وقد ارتبط بقضية الخلاف حول فائدة التاريخ قضية أخرى، وهى هل التاريخ علم من العلوم أم فن من الفنون ؟ . وقد ظهرت هذه القضية الخلافية منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ذلك ان بعض رجال العلم والتاريخ والأدب، اختلفوا فى وصف التاريخ بصفة العلم أو نفيها عنه . فقال بعض العلماء مثل « جيڤونز » ان التاريخ لا يمكن ان يكون علما مثل العلوم الأخرى كالكيمياء أو الفيزياء لانه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية للمشاهدة والفحص والاختبار والتجربة من أجل الوصول إلى نتائج صحيحة . وبذلك لا يمكن فى دراسته إستخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة، على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الكيمياء أو الفيزياء ، وهو ما يبعد بالتاريخ عن صفة العلم .

ويرى بعض رجال الأدب انه سواء أكان التاريخ علماً أم لم يكن فهو فن من الفنون، لأنه لابد من استعانة المؤرخ بخياله عند تصوير الأحداث والشخصيات التاريخية، واستخدام الاسلوب الأدبى الشيق عند صياغة الحقائق التاريخية على النحو الذى يجعل قرأة التاريخ مفهومه وشيقة .

ويرى « هرنشو » انه على الرغم من اننا لا يمكننا ان نخضع الوقائع التاريخية للتجربة، ومن ثم لا يمكننا ان نستخلص من دراسة التاريخ قوانين علمية ثابتة على غرار ما هو كائن فى العلوم الطبيعية، فإن هذا لا يجوز ان يجرد التاريخ من صفة العلم . فالعلم ينطبق على أى موضوع

يمضى الباحث فى دراسته وفقا لأسس ومنهجية معينة من أجل الوصول إلى الحقيقة . ووفقا لهذا التعريف يرى « هرنشو » ان التاريخ « علم » ولكنه ليس علم تجربة واختبار مثل « الكيمياء » و « الفيزياء » ، وانما هو علم نقد وتحقيق . وان أقرب العلوم الطبيعية شبها بالتاريخ هو علم « الچيولوچيا » الذى يقوم بدراسة طبقات الأرض وتطورها التاريخى، فكل من « الچيولوچى » و « المؤرخ » يدرس آثار الماضى ومخلفاته لكى يستخلص ما يمكنه استخلاصه عن الماضى . ويزيد عمل المؤرخ عن عمل الچيولوچى من حيث اضطرار المؤرخ إلى ان يدرس ويفسر العامل البشرى الارادى حتى يقترب من الحقائق التاريخية بقدر المستطاع .

وعلى هذا النحو يمكننا القول بأن التاريخ علم مثل غيره من العلوم لأنه يعتمد على فحص وتحقيق ونقد الأشياء الموجودة من الماضى والتى يستخلص منها الحقائق التاريخية، مثل الآثار والنقوش والبردى والمسكوكات . كما ان دراسة هذه الأشياء التى تدل على الماضى تتم وفقا لمنهج بحث علمى دقيق ومنظم يعتمد على جهد وأمانة المؤرخ من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية . وفى الوقت نفسه يحتاج التاريخ إلى ان يكون المؤرخ على درجة عالية من الأحساس والذوق والفن عند صياغة الحقائق التاريخية. وعلى هذا النحو نخلص من ذلك إلى حقيقة هامة، وهى التاريخ علم وفن فى الوقت نفسه .

صفات المؤرخ

لا يعد كل من يحاول الكتابة فى التاريخ « مؤرخاً » إلا إذا توفرت فيه مجموعة من الصفات الضرورية .

أولاً : لابد ان يكون محبا للدراسة والبحث وان يكون صبوراً . وذلك حتى يتمكن من مواصلة البحث العلمى فلا تمنعه الصعوبات والعقبات التى تواجهه عن التوقف، وهى كثيرة مثل ندرة المصادر والمراجع وصعوبة الحصول عليها إلا بالسفر والترحال، فضلاً عن صعوبة لغة بعض المصادر . كما ان مراحل البحث طويلة وشاقة مثل تجميع المادة العلمية ونقدها وتحليلها وكتابتها، وهى كلها أمور تتطلب ان يكون المؤرخ صبوراً لكى يتحمل كل هذه المشاق والصعوبات، وان يكون محبا للتاريخ حتى لا يمل من البحث والدراسة .

ثانياً : ينبغى ان يكون المؤرخ أميناً فلا يكذب ولا ينتحل معلومة، وان يكون شجاعاً فلا ينافق أصحاب الجاه والسلطان وأن يكون مخلصاً فلا يخفى المعلومات التى قد لا ترضيه أو لا ترضى بلده .

ثالثاً : وان يكون موضوعياً فلا ينحاز لفكرة أو لرأى أو لحزب أو لشخص . بمعنى أن يجرد نفسه من الميول الشخصية مثل الحب أو الكره، فالمؤرخ ينبغى أن يكون مثل القاضى لا يتحيز لأحد فى القضية التى يفصل فيها .

رابعاً : ينبغى ان يكون المؤرخ متمتعاً بملكة النقد فلا يجوز له أن يقبل أو يصدق كل ما يصل إليه من معلومات من أى مصدر . وإنما لابد من نقد هذه المعلومات وفحصها جيداً حتى يتمكن من إثبات صحتها . فالشك هنا من أجل الوصول إلى اليقين . فإذا لم يستخدم الباحث النقد لا يعتبر مؤرخاً وإنما يصبح مجرد شخص يحكى كل ما يصل إليه من معلومات بإعتبارها حقائق مسلم بها .

خامساً : ان يبتعد المؤرخ عن حب الشهرة والظهور فى وسائل الإعلام المختلفة، والا يهتم بالألقاب والمناصب الإدارية لأن جميع هذه الأمور تبعده عن عمله العلمى وتشتت جهوده . فالمؤرخ ينبغى ان يكون متفرغاً للبحث التاريخى فقط حتى يكون عمله مثمراً وناضجاً .

سادساً : وان يكون المؤرخ مثل غيره من العلماء ذا عقلية واعية وذهن متوقد ومرتب ومنظم حتى يتسنى له التمييز بين الحوادث، وتنسيق أنواع الحقائق، والافادة منها فى مختلف مواضع بحثه، والربط بين الأحداث التاريخية فى الزمان والمكان . وبدون هذه العقلية يفقد المؤرخ صفته وتختلط الحوادث أمامه .

سابعاً : وأخيراً ينبغى للمؤرخ أن يكون صاحب إحساس وذوق وخيال بالقدر الذى يجعله يشعر بالشخصيات التاريخية التى يكتب عنها مثل الأسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وجمال عبد الناصر . فيحس بما كان يجيش فى صدورهم ويفهم الدوافع التى حركتهم لإتخاذ سلوك معين . ويحاول فهم روح العصر الذى يكتب عنه ومن ثم يبعث الحياه فى الماضى من جديد .

منج البحث التاريخى

والتاريخ بوصفه علماً لابد أن يتم دراسته وفقا لمنهج ومراحل يسير عليها المؤرخ حتى يبلغ الحقيقة قدر المستطاع .

وأولى هذه المراحل أن يتزود بالثقافة التاريخية وغير التاريخية اللازمة للبحث . فيقرأ فى كتب التاريخ المختلفة مع التركيز على العصر الذى يريد أن يتخصص فيه . فالباحث الذى يريد أن يتخصص فى التاريخ اليونانى والرومانى عليه أن يقرأ الكتب العامة الخاصة بهذا العصر سواء عن تاريخ بلاد اليونان القديم أو تاريخ الرومان أو تاريخ العصر الهللينستى أو تاريخ مصر فى العصرين اليونانى والرومانى . وذلك للتعرف على طبيعة النظم السياسية والحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية التى سادت هذا العصر . وبعد ذلك على الباحث اختيار موضوع محدد بفترة زمنية معينة فى منطقة محددة . وينبغى ان يراعى عند اختيار الموضوع عدة شروط أهمها : توافر المادة العلمية اللازمة للبحث، فلا يختار الباحث موضوعا مادته نادرة حتى ولو كان عنوانه براقا . كما ينبغى ان يراعى قدرة الباحث على دراسة الموضوع مثل اتقان اللغة اليونانية واللاتينية فيمن يتصدى للتخصص فى التاريخ اليونانى والرومانى .

ويفضل أن يختار الباحث موضوعا يتفق مع ميوله الشخصية سواء أكان موضوعا فى التاريخ السياسى أو الإدارى أو الاجتماعى أو

الإقتصادى أو الحضارى . وخلال الفترة الأخيرة تنوعت موضوعات التاريخ اليونانى والرومانى فى مصر، ومن الأمثلة على ذلك الدراسات التالية :

١ – محمد عواد حسين، شئون مصر الداخلية وسياستها الخارجية فى عهد « يورجتيس الثانى » .

٢ – فاروق القاضى، توسع روما فى شرق البحر المتوسط .

٣ – أبو اليسر فرح، وزير المالية فى مصر خلال العصر البطلمى .

٤ – عودة عبد الواحد، كاتب القرية فى مصر خلال العصر الرومانى .

٥ – إبراهيم الجندى، تطور أوضاع الأراضى الزراعية فى مصر فى عصر الرومان .

٦ – حسين محمد يوسف، أسعار المنتجات الصناعية وأجور أرباب الحرف والمهن فى مصر إبان عصر البطالمة .

٧ – أحمد عبد الباسط، الرقيق فى مصر تحت حكم الرومان .

٨ – حسن أحمد حسن، مواطنو عاصمة مديرية أرسينوى خلال العصر الرومانى .

٩ – أمال الروبى، هرموبوليس ماجنا (الأشمونين) فى العصر الرومانى.

ومن ناحية أخرى ينبغى أن يكون المؤرخ ملماً بطبيعة الموقع الجغرافى للمنطقة التى يقوم بدراستها . فنحن على سبيل المثال لانستطيع

أن نفصل التاريخ اليونانى القديم عن الظواهر الجغرافية المختلفة التى كان لها أكبر الأثر فى توجيه أحداث التاريخ اليونانى القديم . فقد كان الموقع هو السبب الرئيسى فى عدم قيام دولة سياسية موحدة فى بلاد اليونان وظهور النظام الفريد المعروف بدولة المدينة الحرة (Polis) ، وكذلك لا نستطيع أن نفهم أمور أخرى كثيرة فى التاريخ اليونانى مثل حركة الهجرة وإقامة المستوطنات خارج بلاد اليونان إلا إذا تعمقنا فى دراسة الموقع الجغرافى .

وكذلك الحال بالنسبة للتاريخ الرومانى، فقد لعب الموقع الجغرافى لروما وإيطاليا دوراً بارزاً فى توجيه الأحداث التاريخية مثل التوسع الرومانى داخل وخارج شبه الجزيرة الإيطالية . ومن ذلك انه كان يحيط بإيطاليا ثلاث جزر هى صقلية من الجنوب وسردينيا وكورسيكا من الغرب، ولما كان وقوع أى جزيرة من هذه الجزر فى يد أجنبية يشكل تهديداً خطيراً على أى حكومة فى إيطاليا، فإن روما حرصت كل الحرص على السيطرة على هذه الجزر، وهو ما أدى إلى وقوع الصدام الكبير بين روما وقرطاجة فيما عرف بأسم الحروب البونية .

ويلى مرحلة اختيار الموضوع جمع المصادر والمراجع التى تتناول موضوع البحث . ومن الأفضل أن يبدأ الباحث بجمع المراجع لأنها تعطيه فكرة عامة عن العصر الذى يكون موضوع البحث جزءاً منه كما تقدم له بعض المراجع للإستفادة بما كتبه السابقون والاستعانة بالمراجع التى أعتمدوا عليها . فيجب على كل جيل من المؤرخين ان يعرف ما كتبه

الجيل السابق فيبدأوا من حيث انتهى هؤلاء، وان يعمل مؤرخ اليوم لكى يمهد لمؤرخ الغد .

ومن الأفضل أن يتم جمع المادة العلمية على فيش (بطاقات من الكرتون) أو فى صفحات من الورق، ويدون عليها عنوان المرجع ورقم الصفحة، وكذلك الفكرة التى تتضمنها كل فيشه، والفصل أو الفصول التى يمكن استخدام الفيشه فيها .

وفيما يتعلق بمراجع التاريخ اليونانى والرومانى فبعضها مكتوب باللغة العربية ويتضمن مؤلفات علماء مصريين وعرب، والبعض الآخر معرب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية . ومن أبرز هذه المؤلفات كتاب أ . د . إبراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة . ويتألف من أربع أجزاء تتناول كافة مظاهر الحياة السياسية والعسكرية والإدارية والدينية والاقتصادية والاجتماعية لمصر خلال تلك الحقبة التى تبدأ بالفتح المقدونى لمصر وتنتهى بوقوعها تحت الاحتلال الرومانى . ومن المرجع الهامة أيضا كتاب مصادر التاريخ الرومانى للدكتور عبد اللطيف أحمد على، ويتناول أهم المصادر التى يعتمد عليها الباحث فى دراسة تاريخ روما عبر عصورها القديمة الثلاث، سواء أكانت مصادر أدبية أو وثائقية .

أما الكتب المعربة فابرزها كتاب العالم الروسى ميخائيل روستوفتزف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ،

ويقع فى مجلدين الأول للمتن والثانى للحواشى، ويتناول أبرز الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية منذ قيام الامبراطورية الرومانية على يد أوكتافيوس سنة ٢٧ ق.م وحتى سقوط روما سنة ٤٧٦ م .

وترجم هذا الكتاب أ . زكى على و أ . محمد سليم سالم ومن الكتب المعربة حديثا كتاب الأستاذ « نفتالى لويس » « الحياة فى مصر زمن الرومان » وتم ترجمته أكثر من مرة بواسطة أكثر من أستاذ مثل ترجمة أ. د . فوزى مكاوى، و أ . د . امال الروبى .

أما فيما يتعلق بالمراجع الأجنبية فهى كثيرة جداً وتحتاج لملاحق، نذكر منها على سبيل المثال

(1) Bury . A History of Greek .

(2) Carcopino, Daily Life in Ancient Rome .

(3) Rostovtzeff . Social and Economic History of the Hellenstic Wold .

(4) Johnson , Roman Egypt .

كذلك أيضا هناك الدوريات العلمية المتخصصة فى تاريخ مصر القديم، وتقوم بنشر أبرز الأبحاث المبتكرة فى هذا التخصص ومن أشهر هذه الدوريات

Aegyptus; American Studies in Papyrology ; Chronique

d'Egypte ; Journal of Egyption Archaeology ; Journal of Roman Studies .

ويتجه الباحث بعد ذلك إلى جمع المصادر والوثائق التاريخية اللازمة لدراسته، وهى فى مجال التاريخ اليونانى والرومانى تنقسم إلى نوعين : المصادر الأدبية، وأبرزها كتابات المؤرخين القدامى، والمصادر الوثائقية، وأهمها المجموعات البردية والنقوش والشقافات.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذت تتوالى كشوف هائلة من أوراق البردى فى عدة أماكن بمصر أهمها « الفيوم » و « البهنسا » و « الأشمونيين » وقد تبارت الهيئات العلمية الاوربية والامريكية فى البحث عن كنوز البردى ونشرها، نذكر منها على سبيل المثال جامعة أوكسفورد ببريطانيا وجامعة ميشيجان بامريكا . وأغلب هذه الأوراق المحفوظة الآن فى مجموعات البردى توجد فى بعض المكتبات المتخصصة مثل مكتبة المتحف المصرى، ومكتبة المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية .

يمكن للباحث الوصول إلى المراجع العامة والخاصة والمصادر عن موضوعه عن طريق الاطلاع على بعض المراجع المعروفة باسم «الببليوغرافيات» التى تذكر المراجع والمصادر وأماكن وسنى طبعها وعدد صفحاتها . وكذلك على الباحث أن يراجع فهارس المكتبات التى تعمل بنظام أبجدى وفقاً لاسم المؤلف أو لعنوان الكتاب . ويحسن أن يستعين الباحث بعمل فهرس أبجدى خاص بمراجع ومصادر بحثه على الفيش ويدون بها ملاحظاته عن هذه المصادر والمراجع .

ولحسن حظ المؤرخون ان الباحث حالياً يستطيع من خلال بعض مواقع « الانترنت » ان يتعرف على أحدث الأبحاث الصادرة فى جميع أنحاء العالم، وكذلك معرفة موضوعات المؤتمرات والسمنارات العالمية . وبلغ هذا التقدم شأواً كبيراً يسهل على المؤرخين جمع مصادرهم بشكل حصرى عن طريق بعض مواقع شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) المعنية بالدراسات البردية . مثال ذلك موقع (Persus Lookup Tool) الذى يقدم خدمة جليلة للباحث يستطيع من خلالها اجراء مسح شامل فى كل المجموعات البردية للبحث عن أى مصطلح أو كلمة تهم موضوع دراسته، فيقوم هذا البرنامج بتحديد جميع الوثائق البردية التى وردت فيها هذه الكلمة تحديداً دقيقاً بالجزء ورقم الوثيقة والسطر .

وعلى الباحث بعد جمع المصادر أن يقوم بترجمتها ونقدها وتحليلها وتنظيم المعلومات التى يستخلصها منها والخروج بالنتائج التى تدعم بحثه.

والمرحلة الأخيرة فى البحث هى كتابة هذه المعلومات التى قام الباحث بجمعها من المراجع والمصادر وصياغتها بصيغ تاريخية وعرضها عرض تاريخى منظم . مثال ذلك إذا كان الباحث يتناول موضوع الفتح المقدونى للشرق الأدنى فعليه أولاً بكتابة مقدمة يستعرض فيها الأوضاع السابقة على هذا الفتح فى كل من بلاد اليونان ومقدونيا والشرق الأدنى ، وتطور العلاقات بين بلاد اليونان والشرق قبل الفتح . ثم يتناول بالدراسة أيضاً عوامل قوة وضعف كل طرف من طرفى هذا

الصراع . وفى فصل آخر يتناول دوافع الفتح وأسبابه المختلفة بالتحليل والشــرح . وفى فــصل ثان يتناول مــراحل هذا الفــتح وأهم أحــداثه مع الاعتماد على المنهج التحليلى وليس السردى فقط فى تحليل بعض الأمور الغامضة مثل إتجاه الإسكندر الأكبر إلى واحة سيوة فى قلب الصحراء الغربية قبل أن يستكمل العمليات العسكرية ضد الملك الفارسى . ويمكن ان ينتهى الباحث بفصل يتناول فيه النتائج العسكرية محللاً عوامل انتصار الاسكندر وهزيمة الفرس، والنتائج السايسية والحضارية للفتح المقدونى .

ومن المسائل المهمة فى البحث التاريخى كتابة الهوامش والحواشى . فينبغى ان تكون الهوامش جزءاً هاماً فى أسفل الصفحات أو فى نهاية الفصل أو فى نهاية الكتاب، لكى توثق الوقائع الواردة فى متن البحث . وعلى الباحث أن يضع أسم المؤلف ثم أسم الكتاب ومكان طبعه وتاريخه، ورقم المجلد إذا كان متعدد المجلدات، ورقم الصفحة . فإذا كان المصدر الذى أعتمد عليه الباحث ورقة بردية أو نقش، فعليه ان يذكر اسم المجموعة البردية ورقم الجزء ورقم البردية فيها وتاريخها، مثال ذلك P.Teb. II, 322 (189 A . D .) اى بردى ، تبتونيس ، (احدى قرى الفيوم) الجزء الثانى، الوثيقة رقم (٣٣٢)، وتاريخها (١٨٩) ميلادية .

وفى بعض الأحوال يضطر الباحث إلى ان يورد فى الهامش شرح توضيحى لبعض الحوادث أو اعطاء نبذة جغرافية عن مدينة أو نبذة تاريخية عن احدى الشخصيات، وذلك حتى لا يؤدى كتابة هذه الأشياء التوضيحية فى المتن إلى حدوث خلل فى الصياغة التاريخية .

وتأتى بعد ذلك ملاحق البحث، وهى مجال لتقديم أو نشر مختارات من الأصول التاريخية التى أعتمد عليها الباحث أو عرض لجداول احصائية تؤيد صحة النتائج التى توصل إليها الباحث .

ويلى ذلك قائمة المصادر والمراجع التى رجع إليها الباحث . وينبغى ان تنظم هذه القائمة أبجدياً بحسب أسماء المؤلفين، بذكر اللقب ثم الأسم الأول، وعنوان المرجع، وأجزائه، مثال ذلك : ابراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، جـ ٤ .

وفيما يتعلق بالمراجع الأجنبية يذكر اللقب ثم الحرف الأول من الأسم الشخصى، وعنوان المرجع وأجزائه ومثال ذلك :

Johnson, A.C.; Roman Egypt to the Reign of Diocletion, New York (1959) .

أما فيما يتعلق بالدوريات الأجنبية، فنكتب أسم المؤلف بالطريقة نفسها، ثم عنوان المقال، وأسم الدورية مختصراً، والجزء والسنة التى صدرت فيها ومثال ذلك :

Evans, J. A.; The Poll - Tax in Egypt, Aeg., 37 (1957) .

ومن المستحسن أحياناً أن يقدم الباحث مذكرة تحليلية ينقد ويبين فيها قيمة المصادر والمراجع الأساسية التى استعان بها فى بحثه، لمساعدة الباحثين فى التاريخ من بعده .

التاريخ القديم وحدوده الزمنية

على الرغم من أن التاريخ عبارة عن حلقات متصلة ومستمرة لا إنقطاع فى حوادثه، إلا أن المؤرخين المحدثين قد عملوا على تقسيم التاريخ إلى عصور وذلك بغرض تسهيل دراسته، وهى على النحو التالى :

عصر التاريخ القديم	Ancient
عصر التاريخ الوسيط	Medieval
عصر التاريخ الحديث	Modern
الحقبة المعاصرة	Contemparary

واستندوا فى هذا التقسيم على أحداث تاريخية شكلت منعطفات فى حياة البشرية أدخلت العالم بشكل كلى أو جزئى فى عصر جديد . وقد اختلف المؤرخون فى تحديد بداية العصور القديمة ونهايتها وفقا لحادثة معينة تبدأ عندها، وحادثة أخرى تنتهى عندها العصور القديمة، وتبدأ العصور الوسطى . وهؤلاء المؤرخين وأغلبهم من الأوربيين، جاء تحديدهم لبداية ونهاية العصور تتعلق بالقارة الأوربية بصفة خاصة . ومن الجدير بالملاحظة أن كل منطقة من العالم يختلف بداية ونهاية العصور التاريخية فيها عن المناطق الأخرى، فمطلع ونهاية العصور القديمة فى أوربا يختلف عن مطلعها ونهايتها فى الشرق .

ومن الجدير بالملاحظة أن الانتقال من عصر إلى آخر من هذه

العصور لا يتم بصورة فجائية أى لا يحدث فى يوم وليلة بعينها لأن التاريخ أحداثه متتالية مترابطة متداخلة مع بعضها البعض .

ويتفق معظم المؤرخين على أن العصور التاريخية تبدأ بفترة اختراع الانسان الكتابة منذ حوالى خمسة آلاف سنة . لأن اختراع الكتابة أدخل تطوراً جذرياً فى حياة الانسان لأنه بواسطة هذا الأختراع بدأ الانسان يتفاهم مع بنى جنسه بالتعبير عن أفكاره بيده، وتدوين أخباره وأحداث عصره لمن سيأتى بعده من البشر . ومعنى ذلك أن الفترة التاريخية لأى قطر من الأقطار تبدأ فقط عندما يبدأ هذا البلد يجود بسجلات مكتوبة من أى نوع بحيث يعتمد الباحث على هذه السجلات فى رصد الحقائق والوقائع التاريخية .

بيده أن الفترات السابقة على معرفة الكتابة والتى اصطلح البعض على تسميتها « عصور ما قبل التاريخ » لها أيضا سجل تاريخى قد يكون غنياً يمكن التعرف عليه من خلال دراسة المخلفات الأثرية التى تركها الانسان فى هذه العصور مثل أدوات الزراعة كالفأس، والصيد كالسهام، والأدوات المنزلية والأوانى الفخارية، والمراكب .

وعصور « ما قبل التاريخ » أو « ما قبل الكتابة » يقسمها العلماء إلى عدة عصور وهى :

(١) **العصر الحجرى القديم :** ويتميز بالأدوات التى كان انسان هذا العصر يصنعها من الحجارة، وهى تتميز بالبساطة الشديدة . وخلال هذه الفترة كان حرفة الانسان الأساسية هى الصيد .

(٢) **العصر الحجرى الأوسط** : ويتميز بأنه مرحلة انتقالية بدأ الانسان فيها يتطور ويعيش فى جماعات صغيرة فى الغابات وحول شواطئ البحار أو الأنهار، وكان ذلك بداية قيام المجتمعات المستقرة .

(٣) **العصر الحجرى الحديث** : ويتميز هذا العصر بتقدم صناعة الأدوات المصنوعة من الحجارة مثل المحراث، كما ظهر فى هذه المرحلة صناعة الفخار واستئناس الحيوان، وكان التطور الأكبر هو ظهور الزراعة، والإستقرار فى ألقرى والمدن ظهور الدول .

(٤) **العصر الحجرى النحاسى** :وفيه ظهرت المحاولات الأولى لاستخدام الأدوات المصنوعة من النحاس . وبدأ الانسان يعرف طريقة خلط النحاس والقصدير، وبالتالى أكتشف البرونز، وبدأت الأدوات بعد ذلك تصنع من هذا المعدن الجديد مما أدى إلى ظهور صناعات جديدة مثل العربات التى تجرها الثيران ونشر الشراع على المراكب .

والواقع ان انتهاء عصور ما قبل التاريخ يختلف من قطر إلى قطر، بيد أن أقدم أنظمة الحكم السياسى وأنظمة الكتابة قد ظهرت فى مصر وبلاد ما بين النهرين فمنذ حوالى ٣٢٠٠ ق . م. تزامن ظهور الدولة الموحدة فى مصر مع ظهور الكتابة . وفى العراق نجح السومريون فى اختراع الكتابة السومرية منذ حوالى عام ٣١٠٠ ق . م . وفى بلاد اليونان تبدأ الفترة التاريخية بمعرفة الكتابة المقطعية حوالى عام ١٧٠٠ق . م . وتطورت فى كريت وموكيناى وغيرهما من مراكز حضارة العصر

الهيللادى، فيما عرف بالمجموعة الخطية الأولى (Linear A) والمجموعة الخطية الثانية (Linear B)، وقد تمكن عالم بريطانى يدعى « مايكل ڤنتريس » من حل رموز المجموعة الخطية الثانية، وأثبت أن هذه الكتابات صورة ما هى الا قديمة من اللغة اليونانية . وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة وفك رموز الكتابة الخطية الثانية أن البدايات الحقيقية للتاريخ اليونانى ترجع إلى العصر الموكينى الذى وصفه « هوميروس » فى ملحميته « الالياذة » و « الاوديسة » .

والواقع ان اختراع الكتابة من أعظم منجزات العصر القديم، وكان القدماء أنفسهم يدركون هذه الحقيقة تمام الإدراك، فاعتبروا الكتابة هبة من الآلهة، فقد كان الاله « توت » عند المصريين خالقا لفن الكتابة وراعيا له، وعند البابليين الاله « نابو »، وعند اليونان الإله « هرميس » ولم تصبح الكتابة مجرد وسيلة لحفظ وتخزين المعلومات وأداة لمساعدة الذاكرة البشرية المحدودة الامكانيات فحسب بل وغدت كذلك قوة فعالة وعاملا من أهم العوامل لتحويل حياة المجتمع وثقافته . ومع ظهور الكتابة أصبح من الممكن ادخار المعلومات فى حجم كان يستحيل تصوره فى السابق، وضمان انتقالها من جيل إلى آخر .

كما حدث تحولاً جذرياً فى حياة المجتمع البدائى بعد أكتشاف الكتابة فقد نشأت أشكال جديدة من النشاطات وظهر أشخاص يتمتعون بنمط وعى جديد تماما وقريب إلى حد كبير من نمط وعى الانسان المعاصر ويختلف اختلافاً شديداً عن وعى ممثلى الجماعات التقليدية فى

عصور ما قبل معرفة الكتابة، فظهر المنظمون والإداريون والموظفون والكتبة، مما أدى إلى ظهور الدول السياسية . ومع ظهور الكتابة ازدهر النشاط المعرفى والفكرى .

وخلال العصور القديمة مرت كل منطقة من مناطق العالم بحقب تاريخية كثيرة، فقد مرت مصر بفترة حكم الأسرات الفرعونيه الوطنيه التى حكمت البلاد منذ توحيدها فى عام ٣٢٠٠ ق.م.، وحتى نهاية عهد « نقتنبو الثانى » آخر الفراعنة الوطنيين فى عام ٣٤٣ق.م. وخلال هذه الفترة شهدت مصر فترات متباينة من القوة والسيادة الوطنية والتوسع، وفترات من الضعف والخضوع للاحتلال الأجنبى مثل احتلال النوبيين والليبيين والآشوريين والفرس . وانتهت هذه الحقبة بسيطرة الأسكندر المقدونى على مصر سنة ٣٣٢ ق.م.، ثم تأسيس بطليموس بن لاجوس مملكة البطالمة فى مصر، التى أستمرت حتى عام ٣٠ ق.م.، عندما نجح الرومان فى القضاء على تلك الدوله وبالتالى دخلت مصر فى حقبة أخرى جديده هى حقبة الاحتلال الرومانى التى استمرت حتى الفتح العربى لمصر على يد عمرو بن العاص عام ٧٤٦ ميلادية ومن الجدير بالملاحظة ان بعض الباحثين اعتادوا ان يقسموا الحقبة الأخيرة من تاريخ العصور القديمة فى مصر إلى مرحلتين منفصلتين هما: مرحلة الحكم الرومانى التى تبدأ من عام ٣٠ ق.م. وحتى عام ٢٨٤ ق.م. عندما قام دقلديانوس بتقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين أحدهما شرقى والآخر غربى، وكانت مصر ضمن الولايات الشرقية . واما المرحلة الثانية فقد اطلق

عليها مصطلح العصر البيزنطى، وتستمر حتى قيام عمرو بن العاص بفتح مصر . والواقع ان مصطلح بيزنطى ما هو إلا مصطلح حديث ولم يكن معروفا عند الذين نسميهم « البيزنطيين »، وكان هؤلاء ينعتون انفسهم بأنهم « رومان »، وهو الأسم الذى نعتهم به القرآن الكريم . وكان الامبراطور البيزنطى يعتبر نفسه حاكما رومانيا وخليفة القياصرة الرومان ووريثهم فى ملكهم، وكان هذا العصر امتداد طبيعى للنظم والثقافة والعادات والتقاليد التى سادت مصر خلال عصر الرومان .

وفى بلاد ما بين النهرين مرت العراق فى عصورها القديمة بحقب تاريخية كثيرة مثل العصر السومرى والأكدى والبابلى والأشورى والفارسى، وحتى مجئ الأسكندر الأكبر وقضائه على الإمبراطورية الفارسية ودخول العراق فى حقبة العصر الهللينستى تحت حكم أسرة السليوقيين الذى استمر حتى عام ٦٤ ق. م. عندما سيطر الرومان على المنطقة ثم قيام الدولة الفارسية الساسانية عام ٢٢٣ ميلادية، والتى استمرت تحكم العراق حتى الفتح العربى لها .

والواقع ان فترة العصور القديمة فى منطقة الشرق تنتهى مع ظهور الدين الإسلامى الحنيف وقيام العرب بالفتوحات الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر، فقد دخلت هذه المنطقة كلها بالتدريج فى عصر جديد يحمل سمات وخصائص وأفكار جديدة تختلف اختلافاً جوهرياً عما كان سائداً قبل الفتح الإسلامى الذى أحدث تغيراً جذرياً فى نمط الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية التى كانت سائدة خلال العصر القديم .

اما فيما يتعلق بتحديد نهاية العصور القديمة فى أوربا فقد دار جدل بين الباحثين الذين اختلفوا فيما بينهم حول وضع تاريخ بعينه لهذه النهاية فهناك من يرى ان قيام الامبراطور « دقلديانوس » فى عام (٢٨٤) ميلادية بتقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين ثم اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية فى عام (٣١٣) ميلادية وانشائه مدينة القسطنطينية فى عام (٣٣٠) ميلادية، كان نهاية لعصر الإمبراطورية الرومانية الوثنية، وبداية عصر جديد اصطبغت فيه الدولة البيزنطية الوليدة بصبغة مسيحية شرقية .

بينما يرى البعض الآخر ان قيام الجرمان بزعامة « أود واكر » . بالاستيلاء على العرش فى روما سنة (٤٧٦) ميلادية وطرد آخر الاباطرة الرومان « رومولوس أوغسطولوس »، هو نهاية الامبراطورية الرومانية، وحداً فاصلاً بين التاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى . ذلك ان العالم الغربى ظل بدون امبراطور منذ سنة ٤٧٦ ميلادية حتى تتويج «شارلمان» سنة ٨٠٠ ميلادية، الأمر الذى أدى إلى تطور الممالك الجرمانية، وظهور النظام الإقطاعى من جهة وازدياد نفوذ البابوية التى أصبحت تتولى مركز الزعامة فى الغرب من جهة أخرى .

وان كان البعض الآخر يرى ان الفترة ما بين (٣١٢) ميلادية وتتويج البابا لملك الفرنجة شارلمان امبراطوراً على الغرب فى عام (٨٠٠) ميلادية تعتبر فترة انتقال بين نهاية العصر القديم وبداية العصر الوسيط فى اوربا.

العلوم المساعدة فى دراسة التاريخ القديم

لما كانت المعارف والعلوم الانسانية متداخلة ومتشابكة فيما بينها، فإن التاريخ لا يمكن أن يدرس بمعزل عن سائر العلوم الأخرى .

وينبغى على المؤرخ أن يكون ملماً بعلوم العصر التاريخى الذى يرغب فى دراسته والكتابة عنه . ومن أهم العلوم المساعدة التى ينبغى أن يتزود بها الباحث فى التاريخ القديم :

١ - دراسة لغة العصر :

فلا بد من معرفة اللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخى . فالراغب فى دراسة التاريخ اليونانى والرومانى عليه ان يكون ملما باللغة اليونانية القديمة واللغة اللاتينية القديمة . وتتفاوت أهمية اللغة الأصليه بالنسبة للموضوعات التاريخية المختلفة . فالراغب فى دراسة موضوع من تاريخ مصر فى عصر البطالمة تكون لغته الأصلية هى اليونانية القديمة ولا داعى للغة اللاتينية . اما إذا كان البحث عن تاريخ روما فينبغى الأهتمام بمعرفة اللغة اللاتينية .

ومعرفة اللغات الأصلية القديمة مهمة للبحث لكى يستطيع الباحث الرجوع إلى الأصول والمصادر التاريخية الأولى مثل النقوش وأوراق البردى والشقافات وكذلك قرأة كتب المؤرخين القدامى مثل « هيرودوت » و « ديون كاسيوس » وغيرهما .

كما يحتاج الباحث فى هذا الفرع إلى دراسة اللغات الأوربية

الحديثة للإطلاع على المراجع والمقالات والأبحاث العديدة التى ألفها المؤرخين الغربيين والإستفادة منها فى التعرف على كل جديد فى هذا التخصص، وتجنب التكرار .

كما يحتاج الباحث فى التاريخ اليونانى والرومانى دراسة فقه اللغة اليونانية واللاتينية، وتطورها وتغيرها تبعا للزمان والمكان، فبعض الألفاظ محددة المعنى، وبعضها الآخر يحمل معانى متعددة متفاوتة متعارضة، وقد تدل كلمة واحدة على معان مختلفة باختلاف استخدامها عند كاتب بعينه، فلا بد من معرفة اللغة وما نال ألفاظها من الاختلاف حتى لا يفسر ما يقرأ على غير حقيقته .

وبذلك فلا بد من معرفة اللغة التى يقرأ فيها دارس التاريخ، فضلا عن الدراية بما نال ألفاظها من المعانى المتفاوتة أو المختلفة حتى لا يفسر ما يقرأ على غير حقيقة .

كما يحتاج المؤرخ إلى الألمام بمعرفة قراءة الخطوط المختلفة حتى يتسنى له دراسة المصادر والوثائق غير المؤرخة أو التى فقد تاريخها ووضعها فى تاريخها الأقرب إلى الصحة . ذلك أن الخطوط اليونانية قد تطورت وأختلفت من عصر إلى آخر وطرأت على كتابتها تغييرات مستمرة .

٢ - الجغرافيا

وهى من العلوم المساعدة الضرورية فى دراسة التاريخ القديم .

فالارتباط وثيق بين التاريخ، والجغرافيا التى هى المسرح الذى حدثت عليه الوقائع التاريخية . ومن ناحية أخرى نلاحظ أن دراسة الجغرافيا فى العصور القديمة لم تكن منفصلة عن دراسة التاريخ، فكانت الجغرافيا عند « هيرودوت » و « استرابون » وغيرهما مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالتاريخ. وللجغرافيا بالذات تأثير واضح فى التاريخ المصرى واليونانى والرومانى القديم .

ولدراسة تاريخ مصر – مثلاً – لابد من معرفة أحوالها الجغرافية . فالنيل هو مصدر حياة مصر وهى هبته الكبرى، مما أدى إلى تركز المصريين القدماء حول وادى النيل الضيق الخصيب . وقد علمهم فيضان النيل المنتظم هندسة الرى، وجعلهم يدركون معنى الوحدة والتعاون فى سبيل تحقيق المصلحة المشتركة . وهو ما جعلهم يشعرون بضرورة قيام حكم مركزى مستقر الدعائم يشرف على تنظيم العمل وتنسيقه، ونتج عن ذلك قيام دولة سياسية موحدة فى البلاد، وقد ساعد على ذلك عدم وجود عوائق طبيعية تفصل بين الأقاليم المصرية .

ومن ناحية أخرى فإن وجود الصحارى حول ضفتى نهر النيل من ناحيتى الشرق والغرب وإحاطة البحر المتوسط والأحمر بسواحلها الشمالية والشرقية، وفر للبلاد نوعا من الحماية الطبيعية والأمن اللازم للإستقرار والتطور مما كان له أكبر الأثر فى تطور الحضارة المصرية القديمة . كما أن مناخها المعتدل غير المتقلب كان من العوامل التى أدت لهمة ونشاط أهلها وساعدهم على التأمل والتفكير الذى ترتب عليه تقدم الفنون والآداب

والعلوم المصرية القديمة . كما ان وفرة المعادن والأحجار فيها كان له أكبر الأثر فى تقدم فن العمارة المصرية القديمة .

كما ادرك « الاسكندر الأكبر » و « أوكتافيانوس » وغيرهما من الحكام والقادة البارعين أهمية مصر كمستودع للقمح لا غناء عنه لاطعام الشعب اليونانى والرومانى، كما أدركوا أهمية موقعها الجغرافى الاستراتيجى فى السيطرة على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وان مصر بلد من السهل الدفاع عنه، وفى وسع من يتحكم فى مدخليها أو مفتاحيها « بيلوزيوم » فى الشرق و « فاروس » فى الغرب، ان يصد بسهولة أى هجوم عليها ويستقل بها ويناوئ أصحاب السلطة عليها، ولذلك كان « الأسكندر » ومن بعده « اوكتافيانوس » حريصان تماماً على وضع قوات عسكرية ضخمة لحماية مصر خوفاً من وقوعها فى يد أى منافس لهم .

جغرافية بلاد اليونان

عندما نلقى الضوء على تاريخ بلاد اليونان فان ذلك يقتضى منا توضيح المسرح الذى تعاقبت عليه ادوار التاريخ اليونانى . فما من شعب تأثر تاريخه بظروفه الجغرافية كالشعب اليونانى فهناك ارتباط وثيق بين الموقع الجغرافى الذى تمتعت به بلاد اليونان وبين تاريخها وحضارتها .

وبلاد اليونان تشمل شبه الجزيرة الواقعة فى أقصى جنوب شرق أوربا، وهى تطل جنوباً على البحر المتوسط وغرباً على البحر الادرياتيكى والأيونى، وشرقاً على بحر إيجه، ولذلك تسمى أحياناً بشبه الجزيرة الشرقى لأوربا، على اعتبار ان شبه الجزيرة الايطالية هى التى شبه الجزيرة الأوسط لأوربا بينما شبه الجزيرة الغربى يتمثل فى شبه الجزيرة الايبيرية .

وقد هيأ الموقع لبلاد اليونان فرصة الالتقاء بحضارات الشرق الأدنى القديم، ذلك ان بحر إيجه الذى يزخر بالجزر العديدة كان بمثابة الجسر الذى ربط بين قارتى أوربا وآسيا فعلى أحد جانبى هذا البحر يقع ساحل آسيا الصغرى وعلى جانبه الآخر تقع بلاد اليونان . وعبر هذه الجزر انتقلت حضارات آسيا الصغرى إلى بلاد اليونان بما تحمله من معتقدات دينية وآراء فلسفية وتراث أدبى وعلمى .

وفى جنوب بلاد اليونان تقع جزيرة « كريت » التى كانت أولى المناطق التى انفتحت على حضارة مصر والشرق الأدنى القديم إذ أنها

تطل من الجنوب على الشمال الأفريقى حيث حضارة وادى النيل ومن الشرق على الساحل الغربى لبلاد الشام وساحل آسيا الصغرى مما جعلها على اتصال بحضارات الهلال الخصيب . وسرعان ما تلاقت فى كريت التيارات الحضارية الآتية من تلك الجهات ونشأت فيها حضارة رائعة كان لها تأثير كبير فى حضارة بلاد اليونان فى بداية ظهورها مما جعل البعض يعتبرها أصل الحضارة الأغريقية أو الجد الأول لها .

ومن ناحية أخرى يتميز الموقع الجغرافى لبلاد اليونان بعدم وجود عوائق طبيعية ضخمة تفصله عن منطقة وسط اوربا، وهو ما ساعد الأغريق على نقل حضارتهم المتأثرة بحضارات الشرق الأدنى إلى ايطاليا حيث أسس الأغريق فى صقلية وجنوب ايطاليا العديد من المستوطنات الأغريقية التى ساهمت فى نشر هذه الحضارة فى ايطاليا وما وراءها .

وبلاد اليونان تقطعها الجبال طولاً وعرضاً وتقسمها إلى مجموعة من الوديان الصغيرة وتجعل الاتصال بين اجزائها المختلفة شاقاً مما أدى إلى ظهور العزلة بين أقاليم بلاد اليونان المختلفة، وهو ما كان من أهم عوامل نشأة نظام دولة المدينة Polis الاغريقية الذى كان السمة الحقيقية أو الجوهر الأساسى الذى تحركت من خلالها الحضارة الأغريقية وصبغها بطابع خاص . وقد ترتب على ذلك عدم قيام دولة سياسية موحدة فى بلاد اليونان وانما قامت بها وحدات سياسية صغيرة حرصت كل الحرص على استقلالها حتى ولو أدى الأمر إلى الأشتباك فى حروب

بين هذه الدويلات وبعضها البعض . وهو الأمر الذى كان له ابلغ الأثر فى ضعف بلاد اليونان السياسى وان كان التنافس بين هذه الدويلات قد أدى إلى تقدمها فى مضمار الحضارة .

كما أن البحر الذى يتوغل فى بلاد اليونان ويجعل سواحلها كثيرة التعاريج ويقطعها إلى جزر صغيرة، كان من عوامل قيام نظام دولة المدينة . ومن أبرز الأمثلة على ذلك خليج كورنثة من الغرب وخليج سارونيا من الشرق اللذين يفصل بينهما برزخ « كورنثة » يشطران بلاد اليونان إلى شطرين احدهما فى الجنوب وكانت أبرز مدنه « أسبرطه »، والآخر فى الشمال وكانت أبرز مدنه « اثينا »، وهو ما أدى فيما بعد لحدوث تنافس سياسى وصراع عسكرى بين هاتين الدولتين فيما عرف بأسم الحروب البلوبونيزية .

وقد أدت وعورة التضاريس وطغيان الجبال وضيق السهول إلى تقلص مساحة الأراضى الصالحة للزراعة التى بلغت (١٨ ٪) من نسبة مساحة بلاد اليونان مما أدى حدوث أزمات اقتصادية ولا سيما مع تزايد اعداد السكان . وكان من نتيجة هذه الأزمات حدوث بعض الاحتكاكات بين سكان دولة المدينة الواحدة حيث احتدم الصراع بين سكان المناطق السهلية وسكان المناطق الجبلية، كما نشبت الحروب احيانا بين دويلات المدن وبعضها البعض حيث أرادت بعض الدويلات القوية التوسع على حساب جارتها بهدف الاستيلاء على الأراضى الخصبة بها .

كما أن ضيق مساحات الأراضى الصالحة للزراعة كان له أكبر الأثر فى اتجاه الأغريق إلى البحر علهم يجدون فيه ما يكفل لهم أسباب المعيشة، سواء عن طريق القيام بالصيد أو التجارة، ومن هنا جاء عشق الأغريقى للبحر رغم مخاطره، وهو ما أدى فى نهاية الأمر إلى تقدم فن الملاحة وصناعة السفن حتى انهم فاقوا فى هذا الميدان اساتذتهم المصريين والفينيقيين فاخترعوا انواعاً جديدة من السفن الكبيرة التجارية والحربية التى تحتوى على ثلاثة صفوف من المجاذيف التى يقوم (١٥٠) من البحارة بتحريكها . وهذه النهضة البحرية ظهرت بواكرها الأولى منذ وقت مبكر وهو الأمر الذى تعكسه بعض الأساطير الأغريقية مثل قصة ملاحى السفينة ارجو، وقصة اوديسيوس . وخلال القرن الخامس ق . م تمكنت اثينا من اقامة امبراطورية بحرية عظيمة الشأن بفضل اسطولها البحرى .

ومن ناحية أخرى كان ضيق الأراضى مع تزايد اعداد السكان وعدم قدرة دولة المدينة على توفير الغذاء الكافى لهؤلاء السكان من أهم دوافع قيام الأغريق بحركة الهجرة والاستيطان الكبرى خلال الفترة من القرن الثامن إلى القرن السادس قبل الميلاد .

وقد ساعد الأغريق على هذه الهجرة تشابه شواطئ البحر المتوسط وتشابه البيئة الجغرافية والنباتية والحيوانية مما ساعد الأغريق على التأقلم بسرعة فى المناطق الجديدة التى استوطنوها خارج بلادهم .

ومناخ بلاد اليونان مثل مناخ البحر الأبيض المتوسط فهو يسوده صيف طويل حار جاف وشتاءاً قصير دفئ ممطر ونظراً لطول فصل الصيف كانت ملابس الأغريق فى الغالب بسيطة وخفيفة، كما ان الأغريق كانوا يقضون اغلب ساعات النهار خارج منازلهم وهو ما أتاح لهم فرص الالتقاء المستمر فى ساحة السوق العامة والأروقة المسقوفة التى كانت بمثابة النوادى التى اعتاد الأغريق الالتقاء فيها والتناقش فى جميع الأمور التى تهمهم مثل شئون المجتمع والسياسة والفلسفة مما جعل اليونانى يشتهر بكثرة الجدل والنقاش وهو الأمر الذى ساعد على التطور الفكرى وظهور الفلاسفة العظام أمثال سقراط وافلاطون وارسطو كما هيأت هذه المناقشات المستمرة بين الأغريق فى أمور السياسة إلى تطور نظم الحكم بها حتى ظهر النظام الديمقراطى الذى يعنى حكم كل الشعب .

وكان للمناخ المعتدل والمناظر الخلابة ببلاد اليونان تأثير كبير فى حياة الأغريق الفكرية، فكانوا يحبون التأمل ويتصفون بعمق التفكير ويتميزون بالاعتدال ولا يميلون إلى المبالغة، فكانوا يرددون دائماً عبارة « اياك والتطرف » .

الموقع الجغرافى لايطاليا وروما

وللجغرافيا تأثيراً واضحاً فى التاريخ الايطالى بصفة عامة والرومانى بصفة خاصة . واسم ايطاليا مشتق من كلمة اتروسكية قديمة معناها « ارض العجول » كناية عن الغنى فى المراعى وتربية الماشية . وكان الأغريق الذين استوطنوا فى منطقة جنوب غرب ايطاليا فى القرن

الخامس قبل الميلاد هم الذين اطلقوا على تلك المنطقة هذا الاسم. وبالتدريج أخذ مدلول هذا الأسم يتسع إلى أن اصبح يشمل جغرافياً وسياسياً كل البلاد من أقصى الجنوب حتى جبال الألب وايطاليا لها شكل الساق والقدم واتجاهها من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى . وهى عبارة عن شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات فهى تطل على البحر التيرانى من الغرب والبحر الأدرياتى من الشرق والبحر الأيونى من الجنوب .

وتحيط بايطاليا ثلاث جزر هى جزيرة صقليه من الجنوب وهى على شكل مثلث قاعدته فى الشرق ورأسه فى الغرب . وهى تعتبر مكمله لايطاليا وتكاد تلتصق بها إذ لا يفصلها عن ايطاليا سوى مضيق «ميسينيا». وتبعا لذلك كان باستطاعة من يستولى على صقلية ان ينزل إلى جنوب ايطاليا ويهددها بسهولة . ومن الغرب كانت توجد جزيرتان قريبتان من الساحل الايطالى هما جزيرة « سردينيا » وجزيرة « كورسيكا » وكان وقوع اى جزيرة من هذه الجزر فى يد أجنبية يشكل تهديداً خطيراً على أى حكومة فى ايطاليا . وتبعاً لذلك حرصت « روما » كل الحرص على السيطرة على هذه الجزر، وهو ما أدى إلى وقوع الصدام بينها وبين قرطاجة فيما عرف بأسم الحروب البونية .

وشبه الجزيرة الايطاليا يتكون من ثلاث سهول هى سهل « إترويا » فى الشمال وسهل « لاتيوم » فى الوسط وسهل « كمبانيا » فى الجنوب وهذه السهول تتميز بوجود عدة براكين ساعدت على خصوبة أراضيها وجعلها

صالحة للزراعة وخاصة الكروم ولكن سهول « اترروريا » و « لاتيوم » على وجه الخصوص كانت عرضة لأن تحولها الأمطار إلى مستنقعات غير ان هذه السهول استطاعت بفضل أعمال الصرف والرى انتاج حاصلات وفيرة على مدى قرون عديدة، بل انها فى حالة غمرها جزئياً بالمياه كانت تستطيع ان تهيئ مراعى جيدة فى الشتاء .

وفى أقصى شمال ايطاليا توجد سلسلة جبال « الالب » وهى على شكل قوس ضخم . وقد وصف « شيشرون » هذه الجبال بأنها كانت بمثابة الدرع الواقى لايطاليا فى ساعات الخطر . غير أن هذا الوصف غير دقيق لان جبال الألب توجد بها ممرات يمكن للغزاة عبورها واقتحام سهل اترروريا والزحف على ايطاليا كما حدث عندما اجتازها الغال فى بداية العصر الجمهورى وكما اجتازها هانيبال فى اثناء الحرب البونية الثانية وعلى هذا النحو لم تكن جبال الالب حاجزاً مانعاً فى وجه الهجرات أو الغزوات من داخل القارة الاوربية إلى شبه الجزيرة الايطالية .

ومناخ ايطاليا بوجه عام من الطراز الشائع فى حوض البحر المتوسط فهو جاف صيفاً ممطر شتاءً دون إفراط سواء فى درجة الحرارة أم فى درجة البرودة . ونتيجة لانتشار المستنقعات فى أودية الأنهار وعند مصابها حيث تتراكم الرواسب وجدت بيئات مناسبة لتوالد ناموس الملاريا، ولذلك نكبت ايطاليا قديماً وحديثاً بتفشى مرض الملاريا من حين إلى آخر .

وكانت الزراعة هى دعامة الاقتصاد الايطالى فى العصور لاقديمة وقد اشتهرت أراضيها بالخصوبة وحاصلاتها الوفيرة من مختلف أنواع الحبوب مثل القمح والذرة والشعير والبقول، هذا فضلاً عن زراعة أشجار التين والكروم والزيتون . وكانت تربية الماشية والأغنام والخيول تلى الزراعة ولاسيما فى المناطق الساحلية المنخفضة وفى المنحدرات الجبلية وقد كانت البراكين مصدراً للأحجار والصخور البركانية التى استخدمت بصفة خاصة فى عملية رصف الطرق التى امتازت بها الحضارة الرومانية . هذا فضلاً عن الصلصال الصالح لصناعة أنواع ممتازة من الآجر والقرميد والأوانى الفخارية .

وتقع مدينة روما على الضفة الشرقية من نهر التيبر فى سهل لاتيوم وقد ساعد موقع مدينة روما فى وسط شبه الجزيرة الايطاليه على بسط سيطرتها عليها . وكان يحيط بروما مجموعة من التلال تقع على جانبى نهر « التيبر » ويتراوح ارتفاعها عن مستوى سطح البحر بين (٦٠) و (٩٠) متراً . وتبعاً لذلك فقد عرفت روما بأسم مدينة التلال السبعة، وهذه التلال من الشمال إلى الجنوب هى : تل « الكابيتول » و « البلاتين » و « الافنتين » و « الكويرينال » و « الفيمينال » و « السكويلينوس » و «الكايليوس» .

وبفضل موقع روما تمتعت هذه المدينة بمزايا طبيعية اسهمت فى بناء مجدها . ذلك ان وقوعها فى سهل لاتيوم هيأ لها اقليما خصباً كان كفيلاً بسد حاجات سكانه من الغذاء .

وبفضل تلالها كانت فى مأمن من أخطار فيضانات نهر التيبر . كما ان وقوعها على نهر التيبر وفى مكان يسهل عبوره وفر لها الاتصال بالبحر وممارسة التجارة الخارجية دون التعرض لسطو القراصنة . وكذلك السيطرة على الطريق الرئيسى للمواصلات فى الشطر الغربى لايطاليا كما ان وقوع روما فى وسط ايطاليا على بعد متساو تقريباً من أطرافها الشمالية والجنوبية جعلها المركز الطبيعى للمواصلات فى ايطاليا .

٣ - الآداب والفنون والعلوم

الأدب وثيق الصلة بالتاريخ فهو مرآة العصر، وهو تعبير عن أفكار الانسان وعواطفه، ويرسم نواحى مختلفة من حياة الناس الواقعية . فالأدب المصرى القديم، مثلاً، يساعد الباحث فى التاريخ على فهم نواح مختلفة من الحياة المصرية القديمة . فالبيئة المصرية بطبيعتها وتقاليدها وأحداثها قد أوحت إلى الكتاب المصريين القدماء بالتعبير عن مشاعرهم بلغة أدبية فيما يتعلق بحياتهم الدينية والدنيوية وكتبوا الأدب التعليمى لتهذيب الابناء والتلاميذ، وغيرها من الأمور التى شرح فيها الأدب حياة المصريين القدماء .

والدارس للتاريخ اليونانى لا يمكن أن يفهم تاريخهم جيداً دون أن يتذوق روائع الأدب اليونانى مثل ملحمتى الالياذة والاوديسة ومسرحيات « سوفوكليس » و « ارسطوفان » التى تعين الباحث على فهم عقليتهم وعاداتهم وحياتهم، وبذلك تصبح دراسة تاريخهم أسهل عليه وأيسر .

والالمام بنواح من فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة المصرية أو اليونانية أو الرومانية تساعد كذلك على فهم تاريخهم فهى مرآة تعكس صوراً دقيقة من حضارات تلك البلاد، وتبين كثيراً من خفايا أهلها ومن حياتهم الواقعية ومن تقاليدهم ونظمهم واحلامهم .

ومن المفيد أيضاً أن يلم الباحث فى التاريخ القديم ببعض العلوم الأخرى مثل المنطق الذى يفيده فى تحليله التاريخى . وكذلك ينبغى دراسة الفلسفات اليونانية القديمة التى تشكل جزءً أساسياً من وجهة نظرهم وأفكارهم سواء فى الكون أو النظم السياسية أو الاجتماعية . كما أن دراسة القانون مهم للغاية لفهم النظم الرومانية فقد كانت الجمهورية الرومانية أعظم مثال فى التاريخ القديم على تنظيم القوانين ووضع الدساتير وبفضلها تمكنت روما من تأسيس أعظم امبراطورية عرفها التاريخ القديم.

كذلك أيضاً ينبغى للباحث فى التاريخ أن يعرف أشياء من العلوم كالرياضيات أو الفلك أو الطب أو الحيوان، ولا سيما إذا ما كان بحثه يتعلق بأحدى هذه العلوم . وإذا لم يكن له بها معرفة سابقة فيمكنه تحصيل القدر الذى يكفيه منها لفهم الموضوع التاريخى الذى يعالجه، حينما يصبح فى حاجة إلى ذلك .

مصادر دراسة التاريخ القديم
وطرق الإستفادة منها

تنقسم مصادر دراسة التاريخ القديم إلى قسمين رئيسيين هما المصادر الأدبية التى تشمل مؤلفات الكتاب القدامى كالمؤرخين والجغرافيين وكتاب التراجم والخطباء والفلاسفة السياسيين القدامى . والمصادر الوثائقية (غير الأدبية) التى تضم فروع الآثار والنقوش والمسكوكات وأوراق البردى والشقافات، وهذا النوع من المصادر يحتوى على مادة علمية معاصرة للأحداث التى ترويها بدون أن تتأثر بمؤثرات خارجية أو تتأثر بالميول الشخصية مثلما هو الحال فى بعض كتابات المؤرخين أو الفلاسفة السياسيين . فالمصادر الوثائقية من هذه الناحية هى الأقرب للصدق والحقيقة من المصادر الأدبية .

بيد أن المصادر الوثائقية لها عيوبها وصعوبتها . فاحيانا تكون هذه المصادر غير موزعة توزيعا متكافئاً لا من الناحية الزمنية ولا المكانية، بمعنى اننا قد نملك وثائق وفيرة عن فترة بعينها فى حين نعانى من نقص الوثائق نقصاً شديداً أو انعدامها بالنسبة لفترة أخرى . وقد تكون المصادر الوثائقية كافية وكثيرة لمنطقة أو بلد معين بينما تكون شحيحة فى منطقة أو بلد آخر، بل انه داخل البلد الواحد قد تتركز المصادر الوثائقية فى مدينة أو قرية بينما تنعدم فى بقية انحاء البلد . وفى هذه الحالة يمكن استكمال هذا النقص فى المصادر الوثائقية من المصادر الأدبية .

والمصادر الوثائقية مثل الآثار والنقوش والبردى تصل إلينا عبر اكتشافات تتم بالمصادفة وليس وفقاً لتخطيط موضوع، فأحياناً تتوافر لدينا مصادر كثيرة نستشف منها حقائق دينية أو سياسية بينما لا تتضمن هذه المصادر حقائق عن الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية . فمن الملاحظ على آثار مصر الفرعونية ان أغلبها من المقابر والمعابد وبالتالى فان المظهر السائد لمعظم ما يعثر عليه فيها هو الطابع الدينى .

هذا بالإضافة إلى صعوبة استخراج المادة العلمية من بعض المصادر الوثائقية المكتوبة بسبب صعوبة اللغات القديمة وعدم سلامة المصدر الذى يكون عادة مهشم أو غير مكتمل، وإن كانت عملية ترميم الآثار والنقوش والبردى وسد ثغراتها قد تطورت فى الفترة الأخيرة .

ومن ناحية أخرى فإن بعض الآثار تشيد للمبالغة والتعظيم مثل التماثيل والمسلات الكثيرة التى نسبها رمسيس الثانى لنفسه دون وجه حق.

وعلى هذا النحو ينبغى على المؤرخ ان يبذل مجهوداً كبيراً لاستنطاق هذه المصادر الوثائقية ونقدها وتحليلها والخروج منها بحقائق تاريخية .

وبالرغم من وجود هذه العيوب إلا أن المصادر الوثائقية تظل هى المصدر الأول والأهم فى دراسة التاريخ القديم بوجه عام فهى الأقرب إلى الصدق والحقيقة . وفيما يلى عرض لكل فرع من فروع المصادر الوثائقية:

أولاً : علم الآثار Archaeology

ان الكلمة الدالة على هذا العلم فى اللغات الأوربية الحديثة (Archaeology) مشتقة من كلمتين يونانيتين ومعناهما معا الدراسة العلمية للأشياء القديمة . اما كلمة « آثار » العربية فقد وردت فى القرآن الكريم بمعنى الآثار المادية أو التراث الثقافى للأقوام السابقة .

وعلم الآثار هو العلم الذى يقوم بدراسة المخلفات التى تركها الأقدمون، التى قد تكون مبانى مثل القصور والحصون والمعابد والمنازل والمقابر والمسارح والحمامات، وكل ما يعثر عليه فى هذه المبانى من تماثيل وصور وآوان وأدوات عمل أو أدوات زينة أو أسلحة أو فخار .

وعلى هذا النحو فإن دراسة هذه الآثار تعتبر مصدر وثائقى لا غنى عنه لانه يمدنا بمعلومات قيمة عن الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفنية .

وقد ساعد المؤرخ على الإستفادة من هذه الآثار التطور الهائل الذى حدث لهذا العلم فأدخلت أجهزة حديثة فى الكشف عن الآثار عن طريق الأشعة الكونية وأجهزة الرسم الهندسى للمساقط الأفقية والرأسية واستخدام الكمبيوتر فى تحديد أبعاد الأثر من التنقيب .

نماذج للآثار المصرية القديمة

ومن أبرز الآثار المصرية القديمة وأكثرها انتشاراً المعابد : وكان المعبد المصرى يتكون غالباً من بوابة ضخمة على جانبيها صرحان يقع خلفهما فناء مكشوف، وهذا الفناء يؤدى إلى صالة أعمدة فى نهايتها قدس الأقداس وهو عبارة عن غرفة ضيقة دون نوافذ يغمرها الظلام تمثل المثوى الخاص بالآلهة حيث يوجد بها مقصورة من الخشب أو الحجارة يختبئ بداخلها تمثال الإله .

وداخل سياج المعبد كانت توجد غرف تحتوى على ثروات المعبد وامدادات الطعام والملابس والبخور ومنازل الكهنة والبحيرة المقدسة .

وكان يستخدم فى بناء هذه المعابد أنواعا من الأحجار الجيرية أو الصوان التى تعتبر من أقوى أنواع الحجارة لأن المصرى القديم كان يحرص على خلود هذه المعابد من أجل ارضاء الآلهة . كما تميزت هذه المعابد بالضخامة والفخامة بعكس معابد بعض الشعوب الأخرى . كان هذا هو النموذج العام للمعبد المصرى غير ان بعض العبادات الخاصة مثل عبادة الشمس تطلبت ان يكون النمط المعمارى للمبعبد المخصص للإله «رع» إله الشمس مختلفا ومن أمثلة هذا النمط، معبد الملك «نى وسر رع»، أحد ملوك الأسرة الخامسة، فى سقارة، ويعتبر من أقدم المعابد المصرية :

يبدأ هذا المعبد « بمبنى » على حافة الوادى يؤدى إلى «ممر صاعد» يزيد طوله على مائة متر وهذا الممر مسقوف يدخل إليه الضوء من

فتحات فى السقف على أبعاد منتظمة، وينتهى هذا الممر الصاعد إلى «مدخل» المعبد المقام على ربوة مرتفعة ويلى المدخل «فناء مكشوف» يوجد فى نهاية هذا الفناء «قاعدة عريضة مرتفعة» يبلغ ارتفاعها (٢٠) متر تعلوها «مسلة» ارتفاعها (٣٦) متر وقمة هذه المسلة ذات «شكل هرمى» مصنوع من الإلكتروم (معدن خليط من الذهب والفضة)، وأمام قاعدة المسلة توجد «مائدة قرابين» ضخمة كما يوجد على يمين الفناء «مذبح» وفى جنوب المعبد حفرة كبيرة بنيت فيها «مركب» من الحجر الجيرى طولها (٣٠) متر يرجح انها تمثل أحد قوارب الشمس .

من الوصف السابق لتصميم المعبد يتبين لنا ما يلى :

أولاً : انه كان مخصصا لعبادة الاله «رع» اله الشمس ومن المعروف ان عبادة الاله «رع» اله الشمس بدأت فى الانتشار والازدياد منذ عهد الأسرة الرابعة بدليل ان ملوك هذه الأسرة اتخذوا أسماء تتضمن اسم «رع» مثل الملك «خع اف رع » والملك « من كاو رع » .

ومع نهاية الأسرة الرابعة تولى الحكم « وسر كا ف » أحد كهنة الاله رع الذى أدعت احدى الأساطير المصرية انه ابن الاله «رع» ولذلك كان من الطبيعى ان يصبح رع هو الاله الرئيسى خلال عهد هذه الأسرة . مما أدى لانتشار معابد الشمس .

ثانياً : ويتبين من تصميم المعبد انه تعمد ان يمر المتعبدين عند دخولهم للمعبد بمراحل من الظلام التدريجى يبدأ من المدخل المظلم ثم الصالة الطويلة التى لا يدخلها الضوء إلا من فتحات ضيقة متباعدة

وأخيراً يفاجأ بالنور الساطع فى الفناء المكشوف وتألق اله الشمس (أشعة الشمس) على قمة المسلة المصنوعة من معدن يتوهج فى أشعة الشمس وهذا التصميم يهدف إلى ابراز الطاقة القادرة لإله الشمس بكل قوتها .

ثالثاً: ان بناء المسلات ارتبط بعبادة الشمس فقد كانت الرمز المقدس لاله الشمس . ولا شك ان نحت المسلات وإقامتها كان يتطلب عملا ووقتا كبيرين وهو ما نتبينه من النص الموجود على قاعدة مسلة «حتشبسوت» فى الكرنك والذى يفخر فيه مهندسها بانه اتم قطع هذه المسلة فى سبعة شهور فقط وان هذه كانت أقصر مدة عمل فيها مثل هذا العمل .

وهذا يدل على المجهود الكبير والوقت الطويل الذى كان يبذل فى صناعة هذه المسلات من اجل الملوك والآلهة وهو ما يدل على قوة عقيدتهم الدينية، ويدل أيضاً على الرخاء الاقتصادى الذى ساعد على بناء مثل هذه المعابد الضخمة والتى كان جزء منها فقط يستغرق عمله سبعة شهور على الأقل . ويدل على براعة النحات والمهندس المصرى القديم .

وفيما يتعلق بالمسلات فى مصر الفرعونية فقد كانت من الآثار المنتشرة فى طول البلاد وعرضها، وكانت تقام لأغراض عديدة مثل تمجيد الموتى والآلهة وتسجيل بعض أعمال الملوك وذكرياتهم .

غير ان مسلات معبد الشمس تختلف عن غيرها من المسلات الأخرى فى وجود شكل هرمى فى قمتها مصنوع من معدن الإلكتروم العاكس لأشعة الشمس لإبراز قوتها .

والواقع ان الهدف من بناء هذه المسلات المرتفعة والتى يبلغ طولها فى المثال الحالى (٣٦) متر بالاضافة إلى بناءها على قاعدة ارتفاعها (٢٠) متر يهدف إلى جعلها قرب أشعة الشمس بقدر الإمكان .

رابعاً: فيما يتعلق بمركب الشمس التى عثر عليها جنوب المعبد فان الغرض من وجودها هو الاعتقاد الذى كان سائداً عند المصريين فى ان اله الشمس يسافر فى هذه المركب ليلا إلى العالم السفلى من الغرب إلى الشرق، وفى هذه الرحلة يزور ممالك الأموات ويضفى عليهم من ضوئه . وخلال هده الرحلة كان اله الشمس يناضل انواعا من المردة تسعى إلى وقف سيره ومنعه من الشروق على الأرض ثانية وكان العالم السفلى فى نظر المصرى مقسما إلى أثنى عشر قسما طبقا لساعات الليل بحيث يجتاز اله الشمس كلا منها فى ساعة معينة وفى صورة تختلف عن صورته فى النهار .

ومن هنا كان الملوك حريصون على بناء مركب الشمس بالقرب من معابدهم الجنائزية لكى يستخدمها الملك بعد وفاته فى مصاحبة الاله رع إلى العالم الآخر .

ومن أبرز نماذج مراكب الشمس التى وجدت بالقرب من المعبد الجنائزى للملك خو إن وكا (خوفو) .

ومن نماذج الآثار اليونانية التى نستطيع ان نتبين منها معلومات قيمة عن الفترة المبكرة من التاريخ اليونانى القصر الملكى الموجود فى

مـدينة «كنوسـوس» عاصـمة جـزيرة كـريت، والذى اكتـشفه عـالم الآثار الألمانى «هنرى شليمان» فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى . ويرجح علمـاء الآثار ان بناء هذا القصـر يرجع إلـى الفتـرة المتـأخرة مـن العصـر المينوى . وخـلال هذه الفـتـرة نجح ملوك كـريت فـى السيطرة على بلاد اليونان لفتـرة من الزمن حـتـى أصبـحت مملكتـهم أقوى الممالك عـسكرياً واقتصادياً فى البلقان .

ومن الجـدير بالملاحظة ان مـدينـة كنوسـوس وكـذلك قـصـرها بنيـا بدون الأسوار اللازمـة لتوفيـر الحـماية اللازمـة لـهـما . وهذا القـصـر على مساحة تصل إلى (٢٠) الف متر مربع . ويتوسط هذا القصر ساحة كبيرة يحيط بهـا من الشرق والغرب مـجـمـوعـات كـبـيرة من الغرف والقاعـات يصل بينها عدد كبير من الممرات. وتوجد بالقصر بقايا مجموعات من الدرج (السلم) تشـير إلى ان القـصـر كـان يرتفع فى بعض اقسـامـه إلى ثلاثة أو أربعة طوابق .

تحليل ونقد الأثر

ومن خلال هذه المساحة الكبيرة للقصر وغرفه الكثيرة وطوابقه

استنتج بعض العلماء ان هذا القصر كان مقراً للحاكم (مينوس)

ولكن هذه الضخامة غير العادية لهذا القصر تجعلنا نشك فى انه كان مجرد مقر للسكن الملكى وانما الأرجح انه كـان مقراً للحـاكم إلى جانب انه كان مركزاً للإدارة الحكومية بأكملها مـثلما كان الحال بالنسبة لقلعة صلاح الدين فى عصر المماليك.

ونحن نستطيع ان نستنتج من تجاور السكن الملكى والإدارة الحكومية :

مدى تركيز السلطة فى يد البيت المالك فى كنوسوس .

كذلك نستنتج من العدد الهائل من الغرف والقاعات ان هذه الإدارة كانت إدارة ضخمة لا تقتصر على مدينة كنوسوس وانما كانت تشمل كل جزيرة كريت ومناطق أخرى خارجها كانت تابعة لها . اى ان هذا القصر كان مقراً لإدارة امبراطورية كبيرة وليس مجرد مدينة .

ومن الجدير بالملاحظة ان علماء الآثار اكتشفوا عدم وجود سور يحيط بهذا القصر وهو ما يجعلنا نستنتج قوة ملوك كنوسوس وأحكام سيطرتهم على جزيرة كريت بحيث لم يكونوا فى حاجة إلى الحماية التى يمثلها مثل هذا السور الخارجى . ونستنتج أيضاً ان الحماية ضد أى هجوم خارجى على الجزيرة كانت موكلة إلى اسطول بحرى قوى وبالتالى لم يكونوا فى حاجة إلى بناء سور يدل على هذا الاستنتاج الإتصال الوثيق الذى حدث بين كريت وكل من الفينيقيين والفراعنة والتبادل التجارى المباشر بينهم والذى لم يكن بالامكان حدوثه دون وجود مثل هذا الاسطول البحرى القوى القادر على السفر لمسافات طويلة لنقل وحماية التجارة الكريتية .

كذلك وجد بداخل هذا القصر حمامات كانت تستخدم للتصريف شبكة من أنابيب الصرف الصحى على درجة عالية من التقدم تفوق ما عرف فى هذا المجال حتى فترة قريبة من عصرنا . وهو ما يدل على التقدم العلمى والهندسى والمعمارى لديهم .

كما يدل بناء القصر بصفة عامة على مدى الاستقرار والرخاء الذى تمتعت به جزيرة كريت خلال الفترة التى يرجع اليها بناء القصر .

(٦) كذلك وجد على جدران القصر رسوم تصور الحياة الكريتية أكثرها يمثل الحياة اليومية مثل المناظر الخاصة باستعراض مجموعات من الرجال والنساء ومناظر الرياضيين الكريتيين . ومن خلال هذه الصور نستطيع ان نتبين

(أ) مكانة المرأة فى كريت

حيث صورت أروع تصوير فنراها ترتدى أفخر الثياب وأزهاها الواناً، وقد تزينت بأغلى أدوات الزينة و أحمر الشفاه . لدرجة جعلت بعض الآثريين يظنون ان بعض الرسومات ربما تكون من صنع فنانات كريتيات . كما ان أحد علماء الآثار اطلق على احدى صور نساء كريت أسم المرأه الباريسية .

وهذه الصور تدل على أعلى درجات الترف والبذخ والذوق نتيجة الرخاء الاقتصادى وهو ما يدل أيضاً على أرتفاع مكانة المرأه فى مجتمع كريت وأهميتها بدليل كثرة تصويرها والمظهر الرائع الذى صورت به .

ولكننا رغم كل ذلك لا نستطيع تعميم هذه المكانة على جميع نساء كريت . فربما كانت تلك الصور لا تمثل سوى أميرات البيت الحاكم أو كاهنات كريت، ولا تعبر عن جميع نساء كريت .

كذلك أيضاً فان وجود صور الرياضيين تدل على اهتمامهم

بالرياضة، وهو ما يثبت صحة ما ورد في اسطورة «ثيسيوس» والتي تشير إلى «اندروجيوس» ابن الملك مينوس الذي اعتاد الاشتراك في دورة «الباناثينيا» الرياضية وتمكن من الفوز بجميع المسابقات التي اشترك فيها مما أدى إلى حقد الملك الأثيني «أجيوس» عليه فقتله، ولذلك انتقم الملك «مينوس» من الاثينيين بأن فرض عليهم جزية سنوية عبارة عن سبعة فتية وسبع فتيات يقومون بتقديمهم إلى «المينوتاروس» في قصر التيه (اللابيرنث) ليلتهمهم .

والواقع ان هذه الأسطورة تتفق مع فكرة تقديم القرابين البشرية للآلهة في بلاد اليونان وهو أغلى أنواع القرابين، ولهذا لجأ إليه اليونانيين القدماء عند الشدة أو عند اتخاذ أخطر القرارات المصيرية والصعبة .

ومن ناحية أخرى وجد داخل قصر كنوسوس تمثال مصري . وهو ما يؤكد على اتصال البيت الحاكم في كريت بمصر الفرعونية ربما بدافع التبادل التجاري أو بدافع التقارب والاحترام المتبادل مما كان له أكبر الأثر في التبادل الحضاري بين كريت ومصر .

ثانياً : النقوش

تعتبر النقوش من أقدم الكتابات المدونة التي تسجل تاريخ الانسان . وهي تشمل كل الكتابات المدونة على مواد صلبة كالحجر أو الرخام أو المعادن أو الاخشاب أو الصلصال . وتتراوح هذه النقوش في الحجم بين نقوش ضخمة طولها عدة امتار، ونقوش صغيرة لا تتعدى السنتيمترات .

وتحتوى النقوش على آلاف القرارات والمعاهدات القديمة والقوانين والتنظيمات وقوائم الضرائب والسجلات التاريخية وأعمال الملوك والأباطرة والمرثيات المدونة على شواهد القبور وغيرها .

ومن الجدير بالذكر ان مناطق الشرق الأدنى القديم كانت أولى المناطق التى عرفت أساليب التدوين على النقوش، ويرجع سبب ذلك إلى قيام أقدم الممالك والإمبراطوريات فى الشرق الأدنى القديم، الأمر الذى تطلب ضرورة تسجيل أخبار ملوكها . فضلا عن قيام حضارات مزدهرة فى هذه المنطقة مثل الحضارة الفرعونية وحضارات بلاد الرافدين، مما كان يستدعى تسجيل بعض المعلومات الهامة على النقوش للحفاظ عليها ولا سيما المعلومات الدينية والعلمية .

كذلك تم العثور على العديد من النقوش اليونانية والرومانية التى تمد المؤرخ المتخصص فى هذا العصر بمعلومات تاريخية وفيرة، مثل النقش الذى عثر عليه فى بلدة «جورتين» التى تقع فى جنوب جزيرة «كريت» ويتألف من أثنى عشر عموداً يحتوى كل منها على خمسين سطراً . وهذا النقش ذات قيمة كبرى لدارسى اللهجات الإغريقية واللغويات والصوتيات وتطور رسم الأبجدية الإغريقية ولدارسى الديانة الإغريقية وتأسيس المعابد وإدارتها وتمويلها ونظام الكهنة وكذلك لدارسى الآداب حيث تمدهم النقوش بآلاف الأبيات من الأشعار الدينية ومرثيات القبور وبعدد لا يحصى من القطع النثرية القصيرة وسجلات عن المسابقات التى تجرى بين كتاب المسرح .

أما بالنسبة إلى المؤرخ، فالنقوش أكثر ما تكون له قيمة، خاصة تلك النقوش الرسمية والمتعلقة بالحكام وأعمالهم، أو بالدول ونظامها وقوانينها وتدرج تحت هذه النقوش العامة عدة أنواع منها :

(أ) السجلات التاريخية :

وهى النقوش التى تتناول بطولات وأحداث تاريخية مثل النقش المعروف بأسم سجل «باروس» وهو عبارة عن تسجيل لأحداث التاريخ الإغريقى مرتبا منذ عهد ملك أثينا الأسطورى «كيروبس» حتى عهد حاكمها «ديوجنيس» أى حتى عام (٢٦٤ / ٦٢٣) قبل الميلاد .

(ب) قرارات مجالس التشريع والحكام

وهى عبارة عن قوانين تشريعية وإدارية أصدرتها مختلف المدن الإغريقية . وأهمها القوانين الخاصة بمدينة أثينا حيث كانت الوثيقة تؤرخ بسنة الارخون المدنى وهو أرفع الحكام منزلة فى اثينا خلال هذه الفترة، وتذكر اليوم من الشهر وما إذا كان القرار مصدقا عليه من مجلس الشورى، أو الجمعية الشعبية أو منهما معا، ثم تذكر أسباب صدور القرار ثم يأتى القرار نفسه بعد ذلك .

(جـ) القوانين والتنظيمات

ومن أمثلة هذه النقوش ذلك النقش المطول الذى يتضمن قوانين مدينة «جورتين» الكريتية فيما يخص الجانب المدنى بوجه خاص من وراثة وتبنى ورهونات وكفالات .

(د) قوائم الضرائب

وتلك مجموعة من السجلات على جانب كبير من الأهمية بالنسبة إلى تاريخ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد فى بلاد الإغريق، وهى تسجل الأنصبة التى كانت أثينا تتلقاها من حلفائها من المدن الإغريقية التى اشتركت معها فى حلف «ديلوس» أو بالأحرى التى خضعت لزعامتها فى هذا الحلف وهى تعتبر الأساس فى دراسة النظم المالية فى أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد . كما أنها تلقى كثيراً من الضوء على تطور علاقات أثينا بحلفائها على فترات مختلفة .

(هـ) نصوص المعاهدات وهيئات التحكيم

وقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من النقوش تسجل المعاهدات وغيرها من الاتفاقات ذات الطابع الدولى بين مختلف المدن الإغريقية مثل المعاهدة الموقعة بين مدن «اثينا» و «مانتينا» و «أرجوس» وهى التى تناولها المؤرخ «ثيوكيديديز» وقد أشرنا إلى هذه المعاهدة بالذات لنبين بالمناسبة نقطة تتعلق بأهمية النقوش وهى ان العثور على النقش الذى يتضمن المعاهدة المذكورة قد صحح مضمون هذه المعاهدة على نحو ما جاء عند «ثيوكيديديز» .

يضاف إلى هذه النقوش الرسمية عدد كبير من المرثيات القصيرة المدونة على شواهد قبور أشخاص لعبوا أدوارا سياسية أو عسكرية . ويمد علم دراسة النقوش (Epigraphy) مؤرخ الإمبراطورية الرومانية على

وجه العموم بمادة تاريخية غزيرة ومتنوعة نظراً لكثرة ما وصل إلينا من نقوش عصر الإمبراطورية . وقد أوضحت هذه النقوش كثيرا من نظم الحكم فى روما وإيطاليا وفى الولايات، وعلاقة روما بولاياتها وسياسة أباطرتها نحوها، كما ترسم لنا الخطوط الرئيسية لتاريخ الأمبراطورية الرومانية الاقتصادى والاجتماعى . ومن أبرز هذه النقوش ذلك النقش المعروف بأسم « نصب أنقرة » (Monumentum Ancyranum) وهى تسجيل لأعمال الإمبراطور أغسطس وانتصاراته العسكرية ومناصبه التى شغلها والقابه التى حملها، ولذا فقد اطلق على هذا النقش « سجل أعمال المؤله اغسطس » (Res Gestae divi Augusti) . ونستمد من هذا النقش الكثير من سياسة أغسطس المالية والعسكرية والإدارية .

غير ان الاعتماد على النقوش فى تدوين التاريخ فيه عيوب وصعوبات كثيرة فعلى سبيل المثال ان بقاء نقش من النقوش ووصوله إلينا مرتبط بنوعية المادة التى نقش عليها وقوة احتمالها لعوامل المناخ وعاديات الزمان . فإذا كانت المادة التى حفر عليها النقش مادة غير صلبة فإن أغلب المعلومات التى كان يتضمنها النقش تضيع . ولكن التقدم الذى وصل إليه المتخصصين فى هذا المجال ذلل الكثير من هذه الصعوبات عن طريق ملء الفراغات وتخمين الأجزاء المهشمة عن طريق سياق النص العام .

كما ان الإستفادة من النقوش مرهون بمعرفتنا للغة التى كتبت بها . ومن المعروف ان أغلب اللغات القديمة مثل الهيروغليفة والمسمارية

واليونانية القديمة لغات صعبة غير حية لا يستطيع التمكن من دراستها ومعرفتها إلا قلة قليلة من العلماء . لذلك يظل العديد من النقوش سراً مبهما ينتظر العالم الخبير الذى يعرف سر فك رموز لغة النقش، مثلما حدث عندما نجح العالم الفرنسى فى فك رموز حجر رشيد وهو الحجر الذى عثر عليه علماء الحملة الفرنسية أثناء وجودهم بمصر . وهذا الحجر مكتوب بثلاث لغات هى اللغة الهيروغليفية واللغة الديموطيقية واللغة اليونانية القديمة . وحتى ذلك الوقت لم تكن اللغة الهيروغليفية والديموطيقية معروفة لأحد . ولما كان «شمبليون» على دراية باللغة اليونانية القديمة فقد تمكن من مقارنة الكلمات والحروف اليونانية بالكلمات والحروف الهيروغليفية، وبالتالى تمكن من معرفة الأبجدية الهيروغليفية، والتعرف على التاريخ المصرى القديم الذى كان حتى قبيل أكتشاف حجر رشيد وفك رموزه لغزاً لا يعرفه أحد، مما أدى إلى تطور الدراسات المصرية القديمة على النحو الذى وصلت إليه الآن .

ومن ناحية أخرى تحتوى بعض النقوش على بعض التحريفات والمبالغات والمعلومات غير الصادقة . فإذا تحدث النقش عن قرار فليس معنى ذلك ان هذا القرار قد أتخذ بالفعل . وإذا كان القرار قد اتخذ فليس معنى ذلك انه أحدث تأثيراً كبيراً، فبعض الملوك المصريين كثيراً ما بالغوا فى أعمالهم وفتوحاتهم مثل « رمسيس الثانى » بل ان بعضهم نقل بالحرف الواحد أعمال الملوك العظام الذين سبقوه ونسبها إلى نفسه .

وفى بعض الأحيان تتعرض النقوش الرسمية إلى التزوير عندما

يخلع ملك لوحة منقوشة من على مبنى جميل بناه أحد اسلافه ويضع مكانها لوحة تنسب البناء له . فالرومان مثلا عندما دخلوا مصر واسقطوا حكم البطالمة محوا كل ذكر لهم من على الآثار والمعابد ووضعوا بدلاً من أسماء الملوك البطالمة ما يشير إلى أعمال الأباطرة الرومان .

غير أن كل ذلك لا يقلل من أهمية النقوش كمصدر أساسى لتدوين التاريخ، ولاسيما وأنها تتميز بامكانية الكتابة على متنها بمادة علمية كبيرة مثل النقوش الهيروغليفية على جدران معبد الكرنك التى تسجل انتصارات « تحوتمس الثالث »، والرحلة البحرية التى أرسلتها «حتشبسوت» إلى بلاد «بونت» (الصومال)، ومجموعة القوانين الرومانية المعروفة باسم « الألوح الأثنى عشر »، وسجل أعمال اغسطس المشار إليه آنفاً، وبراءات تسريح الجنود الرومان من الجيش . وهذه النقوش كثيراً ما تتضمن مادة علمية صادقة معاصرة للأحداث التى تتحدث عنها .

وفيما يلى نماذج لبعض هذه النقوش وطرق الإستفادة منها فى دراسة التاريخ اليونانى والرومانى :

١ - نقش أنس الوجود (فيلة)

وهو عبارة عن نقش على حجر من الجرانيت تم العثور عليه فى جزيرة فيلة (أنس الوجود) بأسوان مكتوب بلغات ثلاث : المصرية واللاتينية واليونانية . يرجع تاريخه إلى السنة الأولى من حكم الإمبراطور « اغسطس » وبالتحديد إلى يوم (١٥) أبريل سنة (٢٩) قبل الميلاد، وقد

سجل فيه « جايوس كورنيليوس جاللوس » أول وال رومانى على مصر انباء اخماده الثورة التى نشبت فى اقليم طيبة ضد الحكم الرومانى . وقد أشار « استرابون » فى كتابه إشارة عابرة لهذه الثورة قائلاً ‹‹ وقمع (أى كورنيليوس جاللوس) فى زمن وجيز ثورة قامت فى طيبة بسبب الضرائب ›› غير انه لحسن الحظ وصلتنا أخبار هذه الثورة بشئ من التفصيل فى هذا النقش الذى سجله الوالى الرومانى مفتخراً بانتصاراته .

وفيما يلى النص اللاتينى وترجمته العربية وتحليله :

C. Cornelius Cn. F. Gallus eques Romanus post reges a Caesare deivi F. devictos Praefectus Alexandreae et Aegypti Primus, defectionis Thebaidis intra dies X V quibus hostem vicit, bis acie victor, V urbium expugnator Boreseos Copti Ceramices Diospoleos megales ophien, ducibus earum defectionum interceptis, exercitu ultra Nili Catarhacten transducto, in quem locum neque regibus Aegypti arma ante sunt prolata T'hebaide, Communi omnium regum fprmidine Subacta legatisque regis Aethiopum ad philas auditis eoque rege in Tutelam recepto, tyranno Triacontaschoenundi Aethiopiae Constituto, dieis partrieis et Nilo audiutori d . d .

‹‹ جايوس كورنيليوس جاللوس بن جنايوس، الفارس الرومانى، أول وال على الاسكندرية ومصر بعد اندحار الملوك على يد قيصر بن المؤله، وقاهر ثورة طيبة فى (١٥) يوما، هزم خلالها العدو مرتين فى معركة عامة وأستولى عنوة على (٥) مدن : بورسيس وكبتوس وكيرا ميكى وديوسبوليس مجالى وافيون، واسر زعماء تلك الثورات، وقاد الجيش إلى ما وراء شلال النيل، وهو مكان لم تبلغه من قبل قوات الشعب الرومانى أو ملوك مصر، واخضع طيبة، مصدر الذعر لجميع الملوك، واستمع إلى سفراء ملك الأثيوبيين عند فيلاى، وقبل ذلك الملك تحت الحماية، وعينه حاكما على ترياكنتاسخوينوس الأثيوبية . وقد قدم (هذا النصب) هدية للآلهة القومية وللنيل الذى اعانه .

وأول ما يلفت النظر إلى هذه الوثيقة ويثير التساؤل هو لماذا كتبت بلغات ثلاثة ؟ والواقع ان هذه اللغات هى التى سادت فى مصر خلال العصر الرومانى . فاللغة الهيروغليفية لغة المثقفين والكهنة المصريين، واللاتينية هى لغة الحكام الجدد (الرومان) وكانت تستخدم فى المكاتبات الرسمية مثل المراسيم والقرارات التى يصدرها الإمبراطور أو الوالى الرومانى، واليونانية ظلت هى اللغة السائدة فى الإدارة المحلية بمصر بعد زوال الحكم البطلمى وحتى ما بعد الفتح العربى لمصر، وهى لغة الأغريق والمتأغرقين سواء فى المدن الإغريقية الحرة فى مصر (نقراطيس - الاسكندرية - بطلمية) أو فى عواصم المديريات المصرية . ويبدو ان الوالى الرومانى اراد ان يبلغ جميع السكان فى مصر بمختلف عناصرهم

مغبة التمرد أو الثورة على الحكومة الرومانية، ولاسيما كهنة آمون رع فى طيبة الذين كانوا رمزاً للكفاح الوطنى ضد كل محتل غاصب لأرض مصر .

وبغض النظر عما يتسم به هذا النقش من مبالغة ومغالاة فى تصوير جهود الوالى الرومانى فى قمع الثورة، فانه من المهم تحليل هذا النص وتفسيره على النحو التالى :

أولاً : كاتبه هو « كورنيليوس جاللوس » الذى كان أحد قواد أوكتاڤيانوس وقد اسدى هذا القائد خدمة جليلة له عندما استولى على مدينة برايتونيوم (مرسى مطروح) المصرية ورد الهجوم البرى والبحرى الذى قام به انطونيوس لاستعادة هذه المدينة من قوات اوكتاڤيانوس .

وقد كان هذا القائد من المقربين من اوكتاڤيانوس بدليل انه كان أحد رسله إلى كليوباترا فى أيامها الأخيرة . وقد كوفئ هذا القائد بعد فتح مصر بتعينه واليا عليها .

* ويصف جاللوس نفسه بأنه فارس رومانى أى أحد أعضاء طبقة الفرسان (ordo equester) التى كان الأنتماء إليها يتطلب امتلاك نصاب مالى لا يقل عن (٤٠٠ر٠٠٠) سسترتيوس رومانى .

وقد كان والى مصر هو الحاكم الوحيد من بين جميع حكام ولايات الامبراطورية الرومانية الذى يتم اختياره من طبقة الفرسان وليس من طبقة السناتو وذلك لأن اكتاڤيانوس كان حريصاً أشد الحرص على تأمين

مصر من الوقوع فى يد منافسيه من كبار رجال السياسة الرومان وخاصة من أعضاء السناتو الذين كانت ميولهم جمهورية ويتميزون بالطموح، وتبعا لذلك عين حاكم مصر من طبقة الفرسان، وأصبح مسئولاً مسئولية مباشرة أمام « اوكتافيوس »، وبمثابة موظف يدير أحدى ممتلكات الإمبراطور الخاصة .

ثانياً : وصف هذا الحاكم بأنه « والى مصر والاسكندرية » لان الاسكندرية فى العصر الرومانى لم تكن تعتبر من الناحية الرسمية جزء من مصر، وانما أعتبرها الرومان متاخمة لمصر (Alexandrae ad Aegyptum) .

ثالثاً : « اندحار الملوك » يقصد هنا بالملوك : ملوك البطالمة، وبالتحديد الملكة البطلمية كليوباترا السابعة التى هزمها اوكتافيوس . ولكن ربما كان المقصود بالجمع هنا ان اندحار كليوباترا كان خاتمة حكم جميع الملوك البطالمة أو لعل المقصود به « كليوباترا » وأبنائها .

رابعاً: وأما « قيصر » فالمقصود هنا هو « اوكتافيوس » الذى حمل اسم أبيه « جايوس يوليوس قيصر » الذى تبناه فسمى « جايوس يوليوس قيصر أوكتافيوس » وان اشتهر بلقب اغسطس .

والمقصود بالمؤله هنا هو « جايوس يوليوس قيصر » الذى رفعه الشعب الرومانى إلى مصاف المؤلهين بعد اغتياله سنة ٤٤ قبل الميلاد .

خامساً : يزعم « جاللوس » انه قضى على ثورة « طيبة » وهو الأسم

الذى اطلق على احدى المناطق الإدارية الكبرى (الابيستراتيجية) التى انقسمت إليها مصر خلال العصر الرومانى، وهى أقليم « مصر العليا » (طيبة) ومصر الوسطى (ارسينوى والأقاليم السبعة) ومصر السفلى (الدلتا) .

كما اطلق اسم طيبة على مدينة (الأقصر حاليا) التى كانت تعرف خلال العصرين البطلمى والرومانى باسم « ديوسبوليس ماجنا » اى (مدينة الإله زيوس) وذلك نتيجة تشبيه الإغريق الالهة المحلية المصرية بالهة أغريقية فمثلاً حيث كان الاله المحلى للعاصمة المصرية هو « رع » أصبح أسم العاصمة « هليوبوليس » وإذا كان الإله « حورس » أصبح أسم العاصمة «ابوللونوبوليس» . وذلك نتيجة تشبيه الإله المصرى «رع» بالإله «هليوس» إله الشمس عند الأغريق وتشبيه «حورس» بالإله «ابوللون» إله الوحى عند الإغريق . وهكذا جاءت تسمية طيبة مقر الإله «آمون» باسم « ديوسبوليس» نسباً لكبير الآلهة الأغريقية « زيوس » .

ولا نعرف إذا كان « جاللوس » يقصد بطيبة هنا المدينة (الأقصر) أم الإقليم (مصر العليا) . وقد زعم انه استولى على خمس مدن، ليس من بينها ما هى جديرة باسم مدينة سوى « ديوسبوليس » (طيبة) اما الأماكن الأخرى فكانت على الأرجح قرى أو أحياء داخل القرى، فيما عدا «قفط» التى كانت ذات أهمية تجارية لوقوعها بالقرب من الصحراء الشرقية حيث أهم مناجم الذهب فى مصر فضلا عن كونها أحد المركزين الرئيسيين لطرق القوافل بين وادى النيل والبحر الأحمر .

ويذكر « جاللوس » انه وصل إلى ما بعد شلال النيل الأول وهو صادق فى قوله ان هذه المنطقة لم تسبقه اليها قوات رومانية . ولكنه مدع فى زعمه بأن قوات البطالمة لم تبلغ هذه المنطقة من قبل، لان البطالمة فى عهد بطليموس الثانى وصلوا إلى الشلال الثانى .

وهو صادق فى وصفه بأن « طيبة » هى مصدر الذعر لجميع الملوك (البطالمة) لانها بوصفها مركز عبادة آمون كانت معقلاً للحركات القومية بزعامة الكهنة المصريين ضد الغزاة الأجانب . وكثيرا ما ثارت ضد البطالمة بل واستقلت عن الحكم البطلمى فترة خلال عهد بطليموس الخامس .

وربما كان سبب قيام هذه الثورة هو أن أهالى طيبة رفضوا دفع الضرائب للجباة الرومان . وخاصة ان « استرابون » ذكر ان جباية الضرائب من سكان طيبة كانت السبب فى قيام هذه الثورة . ولعلها نكلت بالجباة الذين جاءوا لتحصيل الضرائب باسم الرومان وربما ان هؤلاء الجباة غالوا واشتدوا فى جباية الضرائب .

سادساً: يزعم جاللوس أن ملك النوبة قبل الحماية الرومانية، وانه عينه حاكما على المنطقة الممتدة من الشلال الأول وحتى الشلال الثانى عند وادى حلفا، أى بين حدود مصر وحدود النوبة الأصلية، وهى منطقة نعلم انها خضعت فترة للحكم البطلمى .

وربما كان تعين الرومان ملك النوبة على هذه المنطقة بهدف منع

النوبيين من الإغارة على حدود مصر الجنوبية ومنعهم من تحريض كهنة « آمون » فى طيبة على الثورة ضد الحكم الرومانى . ومن المعروف ان تحالف النوبيين مع كهنة آمون فى طيبة كان من أهم عوامل اشتعال الثورات المصرية ضد المحتلين الأجانب مثل الليبيين والفرس والبطالمة . وبصرف النظر عما يتسم به هذا النقش من مبالغة ومغالاة فى تصوير جهود الوالى الرومانى فى قمع الثورة، فانه مهم من حيث بيانه لمدى اهتمام الحكومة الرومانية فى مصر بتأمين حدود الإمبراطورية الجنوبية وتوضيحه لسياسة اغسطس الخارجية التى ترمى إلى عدم توسيع حدود الإمبراطورية أكثر مما تقتضيه الحاجة والاكتفاء بإيجاد مناطق تقوم على تخوم الإمبراطورية وتعترف بالسيادة الرومانية وذلك تفاديا للدخول مع الأمم المجاورة فى منازعات لا طائل منها .

ويبدو ان هذا الوالى (جاللوس) قد تفاخر بانتصاراته على النحو الذى اوجس خيفة الامبراطور اغسطس من اطماعه فعزله من منصبه ونفاه بعد اتهامه بالخيانة العظمى وصادر ممتلكاته، فاشتد به الحزن وانتحر عام ٢٦ ق. م. وهذ الحادثة تنهض دليلاً على مدى حذر الإمبراطور اغسطس من والى مصر الذى يبدو ان انتصاراته قد اغرته على تجاوز الحد المرسوم له والتفكير فى الإستقلال بولاية مصر الغنية، فقام الإمبراطور بالتخلص منه .

وقد اظهرت الأحداث فى مصر، فيما بعد، بُعد نظر اغسطس، فقد كان المصريون وبصفة خاصة السكندريون على أتم الأستعداد لتأييد أى

منشق على الإمبراطور الرومانى، وذلك رغبةً منهم فى التنكيل بالرومان والتشفى فيهم، وهو ما حدث بالفعل عندما رحبوا بالقائد المنشق «ڤسباسيان» الذى نجح بفضل سيطرته على مصر ومنع ارسال القمح إلى روما، فى اسقاط الإمبراطور الرومانى «ڤيتلليوس» وإعتلاء العرش مكانه .

٢ - مرسيم البراءات العسكرية الخاصة بجنود القوات المساعدة والأسطول الرومانى فى مصر

وقد عثر فى انحاء الإمبراطورية الرومانية على نسخ حوالى (١٦٠) مرسوما امبراطوريا خاصة بمنح البراءات العسكرية لجنود القوات المساعدة (auxilia) والأسطول ويستهل المرسوم باثبات تاريخ وألقاب الإمبراطور الذى أصدر هذا المرسوم . يلى ذلك فقرة المنحة الإمبراطورية التى سنورد بعضها كنموذج للنقوش بوصفها مصدراً لدراسة التاريخ الرومانى .

فقد ورد فى الوثيقة (ILS. I,1996) وهى اختصار مجموعة النقوش اللاتينية المختارة . (Inscriptiones Latinae Selectae)

« ان دوميتيانوس قد منح الفرسان والمشاة الذين خدموا فى ثلاث فصائل (فرسان) وسبع كتائب (مشاة) هى : « اغسطا » و « ابريانا » و « كوماجينورا » و « البانونيين الاولى » و « الاسبانيين الاولى » و « فلاڤيا ڤيليقوم الاولى » و « طيبة الاولى » و « طيبة الثانية » و « ايتروريا الثانية » و « ايتروريا الثالثة » الموجودة فى مصر تحت أمره « لوكيوس لابريوس

ماكسيموس ، (والى مصر) بعد ان اتمو خمسة وعشرين عاما فى الخدمة أو أكثر، وسرحوا تسريحا مشرفاً، وهم الذين اسماؤهم مدونة ادناه، منحهم وابناءهم وأحفادهم المواطنة الرومانية، وأهلية الزواج ومنح حقوق المواطنة للزوج التى كانت فى عصمة كل منهم وقت منح المواطنة لهم، وكذلك - إذا كانوا عزابا - للاتى قد يتزوجوهن فيما بعد على شرط الا يتزوج كل واحد إلا أمرأة واحدة فقط :

equitibus et peditibus qui militant in alis tribus et cohortibus septem, quae appellantur (1) Augusta et (2) I Hispanorun et (3) I Flavia Cilicum et (4) I et (5) II Thebaeorum et (6) II et (7) III Ituraeorum, et sunt in Aegypto sub L . Laberio Maximo, qui quina et vicena stipendia aut plura meruerant, quorum nomina subscripa sunt : ipsis liperis posterisque eorum civitatem dedit et conubium cum uxoribus, quas tunc habuissent cum est civitas iis data, aut si qui caclibes esselt, cum iis quas postea duxissent dumtaxat singuli singulas .

ونستخلص من الوثيقة السابقة أولاً - أن نسخ المراسيم الامبراطورية كانت تشمل اسماء جميع الجنود المسرحين من مختلف وحدات القوات الرومانية فى مصر، وان هذه الوحدات كانت مجندة من عدة مناطق من

الأقاليم التابعة لروما مثل آسيا الصغرى وبلاد اليونان واسبانيا وايطاليا، وان والى مصر الرومانى كان يسيطر على هذه القوات العسكرية سيطرة مباشرة .

ثانياً: انه كان للحصول على المنحة العسكرية وتبعا لذلك البراءات العسكرية، شرطان اساسيان، أولهما هو قضاء مدة فى الخدمة العسكرية لا تقل عن (٢٥) سنة، وثانيهما هو التسريح المشرف من الخدمة العسكرية (Honesta missio) . فمن المعروف انه كانت توجد ثلاثة أنواع من التسريح أفضلها التسريح المشرف ويليه التسريح الطبى(medica missio) الذى يؤدى إلى تسريح الجندى بسبب تعرضه للإصابة التى تعوقه عن اداء الواجبات العسكرية، وبالتالى لا يستكمل مدته فى الخدمة، وأخيراً التسريح المخزى (inhonesta missio) نتيجة الفصل من الجيش بسبب الخيانة أو العصيان أو لأية أسباب أخرى تخل بالتقاليد العسكرية أو الأمن العام . وفى حالة التسريح الطبى أو المخزى لم يكن الجندى يحصل على البراءة العسكرية .

ثالثاً: انه بمقتضى المرسوم الإمبراطورى كان الجندى المسرح تسريحا مشرفا، يحصل هو وأولاده وأحفاده على المواطنة الرومانية، وكذلك على امتياز أهلية الزواج (Conubium) ومنح الزوجة الحالية أو المستقبلة إذا كان أغرابا حقوق المواطنة الرومانية . ومعنى ذلك الأعتراف بأن زواج الجنود من أجنبيات أصبح قانونيا وتبعا لذلك يصبح الأولاد مواطنين رومان .

ورابعاً: يتبين مما مر بنا انه وفقا للمراسيم الإمبراطورية كان زواج المجندين لا يعتبر صحيحا وتتمتع فيه الزوجة والأبناء بحقوق المواطنة الرومانية، وما يستتبعه ذلك من حق الأرث، إلا فى حالتين :

احدهما هى حالة الزواج من واحدة وقت المنحة الإمبراطورية، والأخرى هى حالة زواج الأعزب بعد التسريح مرة واحدة . ويترتب على ذلك انه إذا تزوج الجندى المسرح مرة ثانية سواء أكان متزوجاً من قبل أم اعزابا، فان مثل هذا الزواج كان لا يعتبر صحيحا، وتبعا لذلك فان الزوجة كانت لا تكتسب المواطنة الرومانية، وان الأولاد كان لا يحق لهم الارث عنها . وعلى ضوء ذلك يمكن تفسير أحدى مواد مقننة مدير الحساب الخاص فى مصر (الاديوس لوجوس) التى جاء فيها « إذا تزوجت مصرية جنديا مسرحا ثم أدعت لنفسها الجنسية الرومانية فانها تقع تحت طائلة قانون انتحال الجنسية وتفرض عليها غرامة تقدر بربع ممتلكاتها » .

ثالثاً: علم المسكوكات (*العملات*)

عرف العالم نظام النقود للمرة الأولى فى القرن الثامن قبل الميلاد، ويذكر المؤرخين القدامى أن أهل « ليديا » فى آسيا الصغرى كانوا أول من صك العملة . وقد بدأت المدن الإغريقية فى البلقان فى إصدار العملة منذ القرن السابع قبل الميلاد، وكانت جزيرة « ايجينا » سابقة فى هذا المضمار، وتبعتها مدينة « كورنثة » بعد عام ٦٥٠ قبل الميلاد ثم مدينة خالكيس فى جزيرة يوبويا سنة ٦٢٥ قبل الميلاد تقريبا، وحتى نهاية

القرن السابع قبل الميلاد كانت أكثر العملات المتداولة فى التبادل التجارى فى بلاد الإغريق تضرب فى هذه المراكز الثلاث .

وفى البداية اتخذت العملة شكل القضبان المعدنية، وكانت السلطات الرسمية تقوم بختمها كضمان لنقائها ومع ذلك ولفترة طويلة استمر تداول تلك القضبان بالوزن، وكان التالنت هو مقياس الوزن عند اليونان ويعتبر «الأوبل» من بين أصغر الوحدات النقدية اليونانية، وهو مشتق على الأرجح من لفظة (Obelos) بمعنى قضيب حديدى . والدراخمة هى الوحدة النقدية اليونانية وكانت تساوى ستة قضبان .

وبالنسبة للرومان فكانت أقدم عملة ظهرت لديهم فى القرن الثالث قبل الميلاد تسمى آس (as) وتزن حوالى خمسة أو ستة أرطال من النحاس أو البرونز . ثم ظهر « الدينار » (Denarius) وهو عملة فضية كانت فى البداية تساوى عشرة « آس » ثم أصبحت تساوى (١٨) آس، وهى تساوى تقريبا الدراخمة الآتيكية .

وللعملة القديمة قيمة كبيرة للمؤرخ خاصة فيما يتعلق بمعرفة اسماء الحكام وتواريخ حكمهم وشعاراتهم إلى جانب ما تبرزه صورهم المضروبة على العملة من ملامح شخصياتهم، وهذه الصور مفيدة فى التحقق من صدق ما ذكرته المصادر الأدبية عن خصالهم، ولاسيما وانه فى تلك العصور كان يسود مذهب التصوير الواقعى للأشخاص، وهذا المذهب نزع إلى تصوير الشخصية كما هى لا كما ينبغى ان تكون .

ودراسة العملة والمسكوكات الإغريقية ذات أهمية كبرى من حيث إلقاء الضوء على الديانة والأساطير، كما أن الصور المضروبة على النقود مهمة فى دراسة تطور الفن الإغريقى باعتبار أن النقود مواد مؤرخة يمكن ترتيبها زمنيا .

كذلك يفيد المؤرخ أن يدخل فى اعتباره أماكن العثور على النقود الإغريقية لأن هذا يشير إلى مجال تداولها فى العالم القديم، ويمكن ان يستنبط منه امتداد نفوذ مدينة أو دويلة على أخرى سواء كان هذا النفوذ سياسياً أو اقتصادياً . فقد كان العثور على العملة الأثينية فى جزر بحر إيجة وبعض المدن اليونانية فى البلقان خير دليل على امتداد نفوذ أثينا السياسى والاقتصادى فى فترة ما بعد الحروب الفارسية . والعثور على العملة الرومانية فى الهند دليلاً على ازدهار التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند .

ومن الأمور التى تبين أهمية دراسة العملة فى مصر خلال العصر الرومانى أن الرومان حرصوا على إصدار عملة خاصة بمصر تضربها دار السكة فى مدينة الاسكندرية ولا تكون لها أى قيمة فى مجال التداول فى خارج مصر وكان هذا يتفق وسياسة الرومان التى حرصت على أن تبقى مصر وحدة سياسية واقتصادية لها نظم فريدة خاصة بها تختلف عن باقى نظم الولايات الأخرى، بسبب أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية. وكانت العملة المحلية التى تصدرها دار السكة فى الاسكندرية هى نقود فضية من فئة الأربع دراخمات .

ومن ناحية أخرى تفيدنا دراسة العملة فى تحديد اتجاهات الحكام السياسية والحضارية، فبمقارنة النقود المصرية فى عهد الإمبراطور «تراجان» (٩٨ – ١١٧ ميلادية) بالنقود فى عهد خليفته «هادريان» (١١٧ – ١٣٨ ميلادية) لاحظنا تغيراً واضحاً فى طابع الصور المضروبة على كل منها وأسلوبها فى التصوير بحيث كان هذا الأسلوب فى الأولى مصرياً بشكل واضح فى حين انه يميل فى الثانية ميلاً واضحاً إلى الاسلوب الإغريقى . ويشير هذا إلى انتعاش الروح الإغريقية فى مصر فى عهد الإمبراطور « هادريان » المعروف بعشقه للثقافة الإغريقية ورعايتها ورغبته فى نشرها، وهو ما نتبينه بوضوح اثناء زيارة « هادريان » لمصر سنة ١٣١ ميلادية عندما انشاء فى صعيد مصر مدينة إغريقية جديد هى مدينة « انطينوبوليس » .

ومن ناحية أخرى تفيد دراسة العملات القديمة المؤرخ فى مجال التاريخ الاقتصادى . فدراسة نوع المعدن الذى سكت منه العملة ونقائه ووزنه يفيدنا فى تحديد مدى الرخاء أو التدهور الاقتصادى . فمن المعروف ان العملة قديما كانت قيمتها الأسمية تساوى قيمتها الفعلية، ولذلك كلما كان وزن العملة كاملاً ومعدنها نقيا من الذهب أو الفضة غير مخلوطا بمعادن رخيصة مثل النحاس والبرونز، كلما دل ذلك على الرخاء الاقتصادى والعكس صحيح كلما نقص وزنها وخلط الذهب بالنحاس والفضة بالبرونز كلما دل ذلك على التدهور الاقتصادى . ويمكننا ان

نضرب مثلاً على ذلك بالعملات فى الامبراطورية الرومانية التى كان وزنها بالكامل ونوعها ونقائها خير دليل على الرخاء والاستقرار الاقتصادى حتى منتصف القرن الثانى للميلاد، بينما ينعكس التدهور الاقتصادى الذى انتاب البلاد منذ النصف الثانى من القرن الثانى للميلاد وحتى نهاية القرن الثالث للميلاد فى تناقص حجم العملة باطراد وتناقص قوتها الشرائية مما أدى إلى التضخم الاقتصادى وأرتفاع الأسعار الأمر الذى ترتب عليه لجؤ التجار لاستخدام نظام المقايضه من جديد فى معاملاتهم التجارية، ومطالبة العمال بالحصول على أجورهم عينا .

٤ - علم دراسة *البردى* (Papyrology)

يعد اختراع الورق المصنوع من نبات البردى من أعظم ما قام به المصريون الأولون فى مضمار التطور الحضارى .

ومن المعروف أن البردى نبات كان ينمو بمصر فى أحراش الدلتا وفى بعض جهات الفيوم، حيث كانوا يصنعونه من لب السيقان الطويلة التى كانت تقطع فى شرائح طولية توضع متعارضة فى طبقتين أو ثلاث، ثم تبلل بالماء، ثم تضغط وتثقل، وبعد ذلك ينعم الوجه (Verso) ويتم الكتابة عليه، اما الظهر فكان لا يستخدم عادة إلا كمسودات أو كتابة اشياء غير هامة .

وكان لإختراع ورق البردى أكبر الأثر فى تطور عملية التدوين إذ انه سهل هذه العملية وشجع على تدوين الحوادث على نطاق واسع

ولاسيما فى الانتاج الأدبى وكتب الحوليات التاريخية . فقد نجح المصريون فى لصق صفحات ورق البردى بعضها إلى بعض الواحدة فى ذيل الأخرى، وبذلك أمكنهم عمل درج (Volume) يحتوى على نصوص طويلة ويحفظها مرتبة . ومن اطول البرديات المعروفة حتى الآن بردية « هاريس » رقم (١) المحفوظة بالمتحف البريطانى (برقم ٩٩٩٩) ويبلغ طولها ١٣٣ قدم × ١٦ قدما . وهكذا أمكن نشر الانتاج العلمى والثقافى، لعلماء ومفكرى العالم القديم .

وأغلب أوراق البردى تم العثور عليها فى مصر بفضل مناخها الجاف ورمالها الناعمة التى حافظت على كميات هائلة من هذه الأوراق من التلف . اما فى الوجه البحرى وفى الاسكندرية بالذات فإن رطوبة البحر أتت عليه وفتته وما بقى منه فى «منديس» وغيرها من المدن فى شرق الدلتا عثر عليه فى حالة سيئه .

والأماكن التى يمكن العثور فيها على هذا التراث النادر عديدة ومتنوعة، من أولاها تلك الآثار المتخلفة عن اطلال المساكن والمبانى القديمة مثل المقابر، وأكوام القمامة التى كان الناس قديما يلقون فيها فضلاتهم فى محيط المدن التى يسكنونها وفى القرى المتناثرة على حواف واحة الفيوم . وهناك مدن كثيرة فى صعيد مصر جادت بأوراق بردية نذكر منها « هيرموبوليس ماجنا » (الأشمونين) بأقليم المنيا، و «انطينوبوليس» (الشيخ عبادة)، و« اوكسيرينخوس » (البهنسا) وجزيرة الفنتين بأسوان و « ابوللونوبوليس ماجنا » (إدفو) .

كما تم العثور على كميات كبيرة من الورق الذى كان يستخدم فى تحنيط بعض الموتى حيث كانت أغلفة الموميات تصنع من الورق المقوى الذى يشكل بشكل المومياء . كما أكتشفت كميات هائلة من ورق البردى فى بطون التماسيح المحنطة فى منطقة الفيوم حيث كان التمساح « سوبك » معبود الفيوم الرئيسى يحنط ويدفن فى مقابر خاصة .

ويعد البردى مصدراً وثائقياً حيويا لدراسة تاريخ مصر القديم سواء خلال العصر الفرعونى أو اليونانى أو الرومانى . فقد أمدنا البردى بنصوص كبار الكتاب، ودارسى الحضارة الإغريقية مدينون للبرديات التى اكتشفت فى مصر بحفظ جانب مهم من تراث هذه الحضارة الفكرى والأدبى، فالبحث الوحيد لدينا الآن من جملة بحوث الفيلسوف الإغريقى «ارسطو» والبالغ عددها مائة وثمانية وخمسين بحثا قد عصر عليه فى مصر سنة (١٨٩٠م) وهو البحث المعروف بأسم « دستور الاثينيين » .

وقد أمدنا البردى بكثير من المعلومات عن الفلاسفة وعلماء الطب والرياضيات والفلك والطبيعة والجغرافية ومدى ما وصل إليه القدامى من ازدهار حضارى فى هذه المجالات .

كما أمدنا البردى بكثير من صور الأساليب الدبلوماسية التى لجأت إليه الدول لتحقيق أهدافها، والمراسيم الصادرة عن الملوك والأباطرة والولاة . ويعكس كذلك صوراً عديدة لمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية وتطورها على مر السنين .

ويقسم العلماء البردى إلى قسمين كبيرين احدهما يضم البرديات الأدبية التى تتضمن أجزاء من مؤلفات كتاب المسرح وأشعار الشعراء وخطب الخطباء وكتب المؤرخين والعلماء، وما إلى ذلك، ويضم القسم الثانى البرديات الوثائقية، وهذا القسم ينقسم بدوره إلى نوعين هما : البرديات الوثائقية الرسمية (الحكومية) مثل القرارات الملكية ومراسيم الأباطرة وأوامرهم، واللوائح القانونية، والنوع الثانى هو البرديات الوثائقية الشخصية ويشمل معاملات الأفراد الإقتصادية وعلاقتهم الاجتماعية وحياتهم الدينية وغيرها من الأمور المرتبطة بالأفراد مثل عقود الزواج والطلاق وصفقات البيع والشراء والقروض والرهون وتأجير الأراضى والعقارات والورش والوصايا والهبات والالتماسات ودعوات حضور الحفلات الخاصة، والخطابات الشخصية المتبادلة بين الأفراد والتى قاموا بكتابتها بشكل تلقائى، وعدم الكلفة .

وعلى هذا النحو فإن هذا النوع الأخير من البردى يقدم لنا مادة ثرية عن الحياة اليومية لعامة الشعب مثل تكوين وتركيب الأسرة وعدد الأطفال وسن الزواج وزواج الأقارب والعلاقات الأسرية وتحديد الطبقات الاجتماعية للسكان وما يترتب عليها من حقوق وإلتزامات مثل التمتع بالاعفاء من دفع الضرائب أو جزء منها والترشح لتولى الوظائف البلدية، وأهلية الخدمة فى الفرق العسكرية والقوات المساعدة والأسطول وغيرها من الأمور التى لم يهتم المؤرخين القدامى بالحديث عنها، ذلك ان اهتمام هؤلاء المؤرخين أنصب نحو الأحداث السياسية والعسكرية .

وفيما يلى نماذج لبعض اوراق البردى وطرق الاستفادة فى دراسة التاريخ القديم .

النوذج الأول : ورد فى الوثيقة رقم (٣٢٢) بالمجلد الثانى فى مجموعة بردى تبتونيس(P. Teb.II, 322) وهى عبارة عن إقرار تعداد من عام ١٩٨ ميلادية وقد ورد فيها :

ان مواطناً من حى السوريين بعاصمة ارسينوى يدعى باسيجينيس ابن ثيونوس عمره (٦١) كان متزوجاً من إمرأة من حى الخزانة تدعى هيراكليا ابنة سابينوس عمرها (٤٠) سنة وانهما كانا قد انجبا فتاة عمرها (٥) سنوات هذا الى انه كانا للمدعو باسيجينيس ابن يدعى يوتوخوس عمره (٣٠) سنة من زوجة سابقة ابوللونيا ابنة هيرودوس وفضلاً عن ذلك فانه كان للمدعو باسيجينيس ابنة أخرى تدعى تابيسوريا عمرها (١٨) سنة انجبها من زوجة أخرى تدعى ايزيدورا .

وفى الوقت نفسه كان لزوجته هيراكليا ابنان من زوج سابق يدعى احدهما سارابياس وكان عمره (٢٢) سنة والآخر يدعى سابينوس ابن سابينوس عمره (١٨) سنة .

نتبين من هذه الوثيقة ان باسيجينيس كان قد تزوج للمرة الأولى من ابوللونيا والدة يوتيخوس وهو فى الثلاثين من عمره وان ابوللونيا قد توفيت أو طلقت قبل زواجه الثانى وهو فى بداية الاربيعينات من عمره من ايزيدورا التى توفيت أو طلقت هى الأخرى وهو فى حوالى منتصف

الخمسينات من عمره وهى السن التى نظن انه قد تزوج فيها للمرة الثالثة من زوجته الحالية هيراكليا كما انه من المرجح ان هيراكليا كانت قد تزوجت للمرة الاولى من سابينوس وهى فى سن السابعة عشرة على الاقل ، وان زواجها هذا آستمر حوالى (١٧) سنة على الاكثر وانها تزوجت للمرة الثانية من بسيجنيس وهى فى سن الرابعة والثلاثين على الاقل .

وفيما يلى جدول يبين زيجات كل من بسيجينيس وهيراكليا فى مراحل عمرهما المختلفة :

بيانـات	الزوج (باسيجينيس)	الزوجة (هيراكلياس)
تاريخ الميلاد	(١٢٨) ميلادية	(١٤٩) ميلادية
السن عند الزواج للمرة الأولى	(٣٠) سنة على الأقل	(١٧) سنة على الأقل
السن عند الزواج للمرة الثانية	(٤٢) سنة على الأقل	(١٧) سنة على الأقل
السن عند الزواج للمرة الثالثة	(٥٥) سنة على الأقل	(٣٤) سنة على الأقل

من المحتمل ان تعدد الزوجات فى مصر الفرعونية كان جائزا من الناحية القانونية الا ان الزواج بواحدة كان هو العرف السائد من الناحية

العملية فيما عدا حالات استثنائية . كذلك لم يمنع القانون البطلمى الرجل اليونانى من اتخاذ اكثر من زوجة ولكن قيده كل من العرف والتقاليد والنص على ذلك فى عقود الزواج مما يجعلنا نميل الى الرأى القائل بأن الزواج بأكثر من واحدة فى مثر فى عصرى البطالمة، والرومان، الذين لم يدخلوا تعديلات جذرية على القوانين البطلمية، كان فى أضيق الحدود .

ومن الوثائق الهامة والطريفة فى الوقت نفسه، شكوى ارسلها متروبوليتانى، يدعى «فاريون» الى والى مصر يشكو فيها من ظلم واضطهاد مواطن من صفوة المتروبوليتاى يدعى «هيرون» ابن «اماتيوس»، وهو من احدى العائلات المتروبوليتانية الكبيرة التى عاش أفرادها فى قرية تبتونيس حيث كانوا يمتلكون مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية والمنازل والمطاحن وغيرها، وتولى أفرادها أرفع المناصب البلدية فى المتروبوليس مثل منصب «الجيمناريارخ» و «الاكسيجيتيس» .

وقد وردت هذه الشكوى فى الوثيقة البردية رقم (٢٦) بالمجلد الثانى من مجموعة بردى جامعة فؤاد الأول (P. Fouad . I 26) ويرجع تاريخها إلى عام ١٥٧ / ١٥٩ ميلادية .

وفيما يلى نص الوثيقة :

«الى ماركوس سيمبرونيوس ليبيراليس»، والى مصر، من طرف ابن «يوتيخوس» ابن «هيراكليديس» من مواطنى متروبوليس مديرية ارسينوى.

ان الالتماس المقدم اليك، ياسيدى، مرفق أدنى نسخة من الالتماس المقدم الى سيفيروس القاضى المعنى بنظر القضية، وهو الالتماس الذى اعطى رقم (٢٣٣) .

ان خصمى «هيرون» ابن «اماتيوس» الاكسيجيتيس» السابق بمدينة الارسينويين، له تأثير ونفوذ محلى كبير نتيجة غطرسته وقسوته، وانا لن استطيع مواجهته أمام القضاة المحليين، لانه ذو سلطة كبيرة جدا . ولكى تدرك مدى غطرسة «هيرون» فان شخصا يدعى «باولين»، ابن جيمنازيارخ، قدم التماسا الى «يودوروس» استراتيجوس قسمى «ثيميستوس» و «بوليمون» يشكو فيه «هيرون»، وعندما استدعى الاستراتيجوس خصمى «هيرون» تصرف بغطرسة، فدون الاستراتيجوس ذلك فى مذكرته . سيدى الوالى، أوضح لك مدى غطرسة خصمى . ارجوك ياسيدى، منقذ مصر، ان تستمع الى شكوتى ضده، حتى اتمكن من البقاء فى قريتى . هاك نسخة من الالتماس، الى ماركوس سيمبرونيوس، والى مصر، من طرف «فاريون» ابن «يوتيخوس» ابن «هيراكليديس» حيث ان سريرتك الخيرة متأصلة فيك . سيدى الوالى، فيما مضى كنت ادفع الدين قبل استحقاقه، ومع ذلك فاننى قد تعرضت لمظالم عديدة ومغالطات من «هيرون» . ولذلك اسرعت بتقديم الشكوى اليك لكى تحكم بالعدل . والآن أوضح الشكوى . لقد كنت فى حاجة الى المال واستدنت من «هيرون» ابن «اماتيوس» الاكسيجيتيس السابق بمدينة الارسينويين، مبلغا

صغيرا من المال على فترات مختلفة . والنتيجة انه اعتمد على نفوذه وتأثيره المحلى الكبير فى المدينة . فى ان يوجه الى باستمرار الاهانات والمظالم والايذاء الجسدى، على الرغم من انه كان يتسلم الفائدة كاملة بمعدل النقد الخاص بعملة المدينة «ارسينوى» وهى الفائدة التى اجبرنى بالقوة على ان اتعهد بدفعها له . هذه الفائدة أصبحت تفوق المبلغ الأصلى الذى استدنته بأكثر من الضعف، ولكل هذا فأنا خائف من ضياع منزلى وانتقاله الى شخص آخر . وعلى ذلك اقدم اليك، يا حامى الجميع، شكوتى، وأرجو عظمتكم، إذا صدقتم اننى على حق، ان تستمع الى قضيتى ضده، ولابد ان تأخذ فى ا عتبارك انه قد تسلم منى، وهو ما يظهر فى الشكوى، المبالغ المالية المطلوبة منى تماما، ولذلك لابد من أن اتمكن عن طريقك من الحصول على حقوقى .

نخرج من هذه الوثيقة بنتيجة محددة، وهى ان «هيرون» كان ذا سطوة ونفوذ كبير فى موطنه لدرجة انه كان له تأثير على الهيئات القضائية المحلية، وبلغ به الأمر ان يتصرف بتكبر وغطرسة تجاه موظف كبير مثل الاستراتيجوس، ولذلك لم يجد «فاريون» من يحميه من ظلم وجبروت «هيرون» الا ان يستعين بأكبر شخصية فى مصر، وهو الوالى الرومانى .

ويبدو ان «هيرون» هذا كان ذا عزوة جعلته يفرض سيطرته على الآخرين ليس فقط الى حد الاعتداء على مواطن متروبوليتانى وانما تهديده بالاستيلاء على منزله وطرده من القرية .

وإذا كان ذلك لا يستتبع حتما ان صفوة المتروبوليتاى كانوا جميعهم على شاكلة «هيرون» فانه يتبين مما ورد فى الوثيقة ذاتها مدى سطوة هذا الرجل المتجبر حيث ان «باولين» وهو ابن جيمنازيارخ أى من صفوة المتروبوليتاى، لم يسلم هو الآخر من غطرسة «هيرون» .

٥ - الشقافات (Ostraka)

ويلحق عادة بعلم البردى علم آخر هو علم دراسة الشقافات المتخلفة من الأوانى الفخارية المتكسرة، وقد استخدمها الأغريق فى مصر مادة للكتابة خاصة فى تدوين النصوص القصيرة وأغلبها عبارة عن إيصالات دفع الضرائب وخطابات شخصية وتمارين التلاميذ المدرسية والتمائم السحرية والنصوص الدينية الوثنية والمسيحية .

وفى اثينا ابتدع كلايستنيس نظام النفى الإدارى للشخصيات القوية فى الدولة الذين يخشى بأسمهم ولا يؤمن جانبهم فى اغتصاب الملك أو قلب نظام الحكم فكانت الحكومة كلما أحست من أحد طمعا فى الحكم أو رغبة فى انتهاك القانون أمرت بالأقتراع سراً للنظر فى أمره فى الجمعية العمومية (الاكليزيا) . وقد عرف هذا الإجراء باسم (الاوستراكيزم) Ostrakismos حيث كان يشترط ان يدلى ستة آلاف شخص على الأقل بأصواتهم على قطع صغيرة من الفخار باجابة (نعم) أو (لا) .

وفيما يلى بعض نماذج للشقافات التى تم العثور عليها فى مصر .

وفى وثيقة من القرن الثانى للميلاد ارسلت سيدة تدعى «باولينا»

خطابا إلى أخيها تشكو فيه من سوء معاملة زوجها لها، وفيما يلى نص الخطاب الذى ورد فى شقافة من القرن الثانى للميلاد .

I. Price, Som Roman Ostraca, JJP. 9 - 10 (1955 - 6) P. 161 No. 1 (A .D. 2nd cent .) .

« من باولينا إلى أخيها تيتوس الوصى عليها تحية طيبة . أود أن تعرف يا أخى أن زوجى أبونيوس يعاملنى معاملة غير لائقة لانه يعرف أنه ليس لى سند . لكنى أطلب منك .. أنك قلت لى أنه ينبغى على أن أكتب لك وقد فعلت ذلك لتأتى إلى بسرعة . فإذا لم تفعل فانه سيقذفنى بقوله المأثور أتركى منزلى ولذا أطلب منك أن تأخذ الأمر مأخذ الجد والعناية من أجلى وتأتى لتثأر لى أو تطلقنى ...... خشية أن يطردنى فى الشارع كما يهددنى وداعا » .

نتبين من هذا الخطاب وجود خلل فى هذه العلاقة الزوجية بدليل قول الزوجة بأن زوجها يعاملها بطريقة غير لائقة ويهددها باستمرار بطردها من منزل الزوجية . ومن المرجح أن الزوج كان جنديا فى الخدمة، وبالتالى لم يكن هذا الزواج شرعيا وانما كان عرفيا غير مسجلاً، وبالتالى لم يكن للزوجة حقوق لدى زوجها بدليل أن الوصى القانونى على الزوجة لم يكن زوجها وانما كا أخاها، ويبدو أن خوف الزوجة من ضياع حقوقها هو الذى دفعها إلى الكتابة إلى أخيها ليطلقها من زوجها قبل أن يطردها الأخير ويستولى على بائنتها .

المصادر الأدبية

ذكرنا من قبل ان القسم الوثائقى يشكل الجانب الأهم من مصادرنا عن التاريخ القديم لأن المصادر الأدبية وفى مقدمتها كتابات المؤرخين تتأثر بميول كاتبها وتظهر بها النزعة الشخصية والمؤثرات النفسية وعدم الدقة، ولذلك ينبغى أن نأخذ هذه المصادر بحذر شديد ولا نعتبر كل ما يأتى بها على انه حقائق مسلم بها إلا بعد فحصها جيداً ومقارنة المعلومات الواردة بها بما نستخلصه من المصادر الوثائقية، ومع ما يتفق مع المنطق والعقل .

غير أن كل ذلك لا ينتقص من قيمة وأهمية المصادر الأدبية لعدة أسباب :

أولاً : ان كتاب هذه المصادر الأدبية سواء كانوا مؤرخين أو جغرافيين أو فلاسفة أو خطباء أو كتاب مسرح أو شعراء كانوا معاصرين للأحداث التى يكتبون عنها أو أنهم كانوا يعيشون فى فترة زمنية قريبة من تاريخ هذه الأحداث، وبالتالى فهم فى الغالب يعبرون عن واقع حياتهم القديم وطريقة تفكيرهم وأسلوب حياتهم وهو ما سوف نوضحه عند دراسة نماذج لهذه المصادر الأدبية .

ثانياً : أن المصادر الأدبية تعتبر مكملة للمصادر الوثائقية فى دراسة التاريخ القديم، ولا سيما فى الفترات التاريخية التى تتميز بقلة مصادرنا الوثائقية عنها فعلى سبيل المثال الحروب الفارسية التى وقعت خلال القرن

الخـامس ق. م بين الفـرس واليـونـان لم يكن بالإمكان التـعـرف على تفـاصـيلهـا الدقـيـقـة إلا بالرجـوع لكتـاب هيـرودوتوس المعـروف باسم «التواريخ».

وهناك الكثير من الأحداث التاريخية لم يكن بالإمكان معرفتها إلا من خـلال كـتابات المؤرخين والأدباء والشـعـراء المعـاصرين لهـا (كمـا سيـأتى شـرحـه) . والتى لا تمدنـا المصـادر الوثائقـيـة إلا بالقليل من المعلومـات عنها . ومن الأمثلة على ذلك فترة عصر اللامركزية الأول والثانى فى مصر والذى تندر فيه المصادر الوثائقية يبرز منه مجموعة من الأعمـال الأدبية التى تسد النقص فى معلومـاتنا التاريخـية عن هذه الفترة .

وسوف نتناول بالدراسة أهم أفرع المصادر الأدبية وكيفية الاستفادة منها بعد نقدها وتحليلها .

وأهم هذه المصادر هى :

اولاً : كتابات المؤرخين القدماء

هيرودوت (أبو التاريخ)

ويعتبر « هيرودوت » هو أول مؤرخ بالمعنى الدقيق للكلمة فى التاريخ الأغريقى .

مولده واسرته

* وقد ولد « هيرودوت » فى عام (٤٨٤) ق. م فى هاليكارنيسوس وهى أحدى المستوطنات التى أسسها الأغريق فى ساحل آسيا الصغرى وكان أبوه يونانيا وأمه آسيوية من أقليم كاريا .

* وقد كانت أسرة هيرودوت من الأسر العريقة فى نسبها وثرائها وثقافتها، وقد اشتهر أفرادها بالعمل السياسى، وكانوا من أشد العناصر الكارهة للاحتلال الفارسى لآسيا الصغرى .

وكذلك تميزت هذه الأسرة بشغفها بالعلم . وقد اعتاد هيرودوت أن يسافر إلى أثينا ويلتقى بزعمائها وشعراء مسارحها وفلاسفتها ولذلك كان متعصبا ومتحيزاً لأثينا حتى أنه رضى أن يكون عضوا فى احدى المستوطنات الآثينية فى ايطاليا وهى مستوطنة ثورى التى بقى فيها حتى مات .

* ونتيجة لشغفه الشديد بالعلم والمعرفة قام هيرودوت برحلات علمية لعدد كبير من بلدان العالم لجمع المادة العلمية التى ألف منها كتابه فى التاريخ . فزار المدن اليونانية فى آسيا الصغرى وكذلك زار العديد من المدن اليونانية فى شبه جزيرة البلقان . والجزر اليونانية فى البحر

التدوين التاريخى فى الغرب

ونقصد به التدوين التاريخى فى بلاد اليونان وكذلك المؤرخين الرومان فى ايطاليا .

أولاً : نشأة *التدوين التاريخي* فى بلاد *اليونان*

ظهرت الارهاصات الأولى لعلم التاريخ فى بلاد اليونان وذلك منذ القرن السادس قبل الميلاد فقد ظهر فى المدن اليونانية فى الساحل الغربى لآسيا الصغرى مجموعة من « رواة النثر » اطلق عليهم لفظ «لوغو غرافى» وقد حاول هؤلاء الناثرون دراسة العالم الذى حولهم ومعرفة أخباره عن طريق الترحال إلى بلدان العالم التى يكتبون عنها .

وكانت هذه المحاولات عبارة عن جمع مادة امتزجت فيها المعلومات الجغرافية والتاريخية والأسطورية ومن أبرز هؤلاء الناثرون «هيكاتايوس» الميلتى (نسبة إلى مدينة ميليتوس) . غير أن هؤلاء لايمكن أن نطلق عليهم لفظة مؤرخين بأدق معنى الكلمة .

المتوسط مثل « جزيرة قبرص » وجزيرة « رودوس » و « جزيرة كريت ». وزار ايطاليا وأقام مدة فى احدى المستوطنات هناك كما زار عاصمة الإميراطورية الفارسية « سوزه »، والشام و مصر التى أقام فيها فترة لا تقل عن عامين زار خلالها جميع انحاء البلاد من الدلتا شمالا وحتى طيبة جنوبا .

وحين كان يصل إلى موقع له قيمة تاريخية كان يبقى فيه فترة طويلة ليتعرف على آثاره وأشهر معالمه . ويتصل بالسكان ويستوضح منهم أخبارهم فى الفترات القديمة والحديثة . ويسجل كل ما يقع عليه من معلومات ويتحقق من صدق هذه المعلومات بقدر الامكان .

وقد سمى هيرودوت كتابه . (Iotopins) أى تمحيص الأخبار فكلمة Iotopins اليونانية مثل كلمة Historia تعنى الفحص أو البحث، وبهذه الكلمة جمع هيرودوت معلومات جغرافية وتاريخية ودينية وقصصية فى كتابه . فهو بالتالى كتاب عالمى يتناول قصة جميع الأمم التى وصفها كتابه . وقد تناول « هيرودوت » فى كتابه . الصراع الذى احتدم فى عصره بين الفرس واليونان . وقد قسم علماء الاسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد هذا الكتاب إلى تسعة أقسام (كتب) اطلق على كل منها اسم احدى ربات الفنون التسعة، وهى : الكتاب الأول ويحمل اسم « كليو » ربه التاريخ وتناول فى مقدمته أسباب قيامه بتدوين كتابه، وأصل الفرس وفتوحاتهم وتوسعهم وطبيعة بلادهم .

واطلق على الكتاب الثانى اسم « يوتيربى » ربة الموسيقى أو العزف على الناى، وتحدث فيه عن مصر وأهلها وعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم وعلومهم وبناء الأهرامات وغيرها من الأمور .

واطلق على الكتاب الثالث اسم « ثاليا » ربة التراجيديا وتحدث فيه عن امة العرب والملك الفارسى قمبيز وقارن بين النظام الملكى الذى كان سائداً فى الإمبراطورية الفارسية، والنظام الديمقراطى الحر الذى كان سائداً فى بلاد اليونان، كما تحدث عن بلاد الهند وقبائلها .

واطلق على الكتاب الرابع اسم « ميلومينى » ربه الكوميديا وتحدث فيه عن بعض القبائل الآسيوية مثل السكيثيين وطبيعة بلادهم وعاداتهم وديانتهم .

واطلق على الكتاب الخامس اسم « تربسيخورى » وتحدث فيه باسهاب عن الملك دارا الثالث وثورة المدن الإغريقية على الفرس فى آسيا الصغرى، ومساعدة أثينا للثوار .

واطلق على الكتاب السادس اسم « أراتو » ربة الشعر الغنائى أو الأناشيد . ويتناول الحملة الفارسية التى وجهها الملك « دارا الأول » ضد بلاد اليونان لمعاقبة أثينا على ما قامت به من دور فى مساعدة الثوار الأغريق فى الساحل الأيونى ضد الفرس، ووصف المعارك الحربية التى وقعت ببلاد اليونان وأهمها معركة سهل « ماراثون » .

واطلق على الكتاب السابع اسم « بوليهيمنيا » ربة فن التمثيل،

ويتناول هذا الجـزء وفـاة الملك دارا الأول، والصـراع الذى دار بين ابنائه حول ولاية العرش وخلافته، وتولى ابنه « اكسركسيس » (خشيار شاى) الحكم، وتصميمه على ارسال حملة كبرى للانتقام من اليونانيين وخاصة أثينا . وفى هذا الجـزء وصف هيـرودوت بدقـة القـوات الفـارسيـة البـرية والبحرية الضخمة التى غزت بلاد اليونان، والخطط التى وضعها الأغريق لمجابهتها .

وفى الكتـاب الثـامن الذى اطلق عليـه اسم « أورانيا » ربـة « الفلك »، وصف نجاح خطط الأغريق فى تدمير الأسطول الفارسى الضخم .

وفى الجزء الأخير من كتابه الذى اطلق عليه اسم « كالليوبى » ربة شعر الملاحـم تحدث باسهـاب عن معركـتى « بلاتيا » و « ميكالى » اللتين انتهـتا بـانتصار الأغـريق ومقتـل « ماردونيوس » قائد الحـملة الفارسيـة، وانسحاب جيش الملك « اكسر كسيس » من بلاد اليونان .

أسلوب ومنهج هيرودوت التاريخي

فى مقدمة كتاب هيرودوت يذكر الهدف من أبحاثه فى أمرين وهما:

(١) « إنقاذ تاريخ الجنس البشرى من النسيان »

(٢) « واثبات ان الأعمال الرائعة التى اضطلع بها الهلينيون والشرقيون سوف تتمتع بما هى أهل له من شهرة » .

اذن من وجهة نظر هيرودوت ان الكتابة التاريخية تهدف فى المقام الأول إلى حفظ وتسجيل ماضى الأمم والشعوب حتى لا تضيع من الذاكرة مع مرور السنين إذا لم يدون .

وكذلك الحفاظ على تراث وحضارات الشعوب المتقدمة التى تخدم الإنسانية وتساعد على تطورها . وفى نفس الوقت اعطاء أصحاب هذه الحضارات والانجازات حقهم من الشهرة والمجد .

وفى الجزء الأول من كتابه أراد تفسير أسباب قيام الحروب بين الفرس والأغريق خلال القرن الخامس قبل الميلاد التى هى موضوع بحثه الرئيسى فذكر :

« ان المؤرخين الفرس يلقون مسئولية هذا النزاع على عاتق الفينيقيين . واستنادا إلى هذا الرأى، فان الفينيقيين، الذين عاشوا على سواحل البحر الأحمر قبل ان يهاجروا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط لم يكد يستقر بهم المقام فى موطنهم الحالى، حتى قاموا برحلات بعيدة،

حملوا فيها سفنهم بالسلع المصرية والأشورية، وكان من بين الأسواق التى زاروها أرجــوس التى كــانت فى ذلك الحين أعظم ولايات الأقليم الذى نطلق عليه الآن (هيلاس)، وفى غضون خمسة أيام أو ستة أيام كانوا قد باعوا كل ما لديهم تقريبا، إذ جاء بعض النسوة إلى الشاطئ ومعهن (إيو) ابنة الملك فقام الفينيقيين بسبى . (إيو)، وآخريات وينظر الفرس إلى أن هذا الحادث بداية الأعمال الاستفزازية بين الفريقين فقد أعقب هذا الاستفزاز غارة الهلينين على صور فى فينيقيا وسبوا (يوروبا) ابنة الملك . ثم قاموا بغارة على مدينة فارسية وخطفوا (ميديا) ابنة الملك ورفضوا إعادتها بسبب خطف أيو من ارجوس قبل ذلك . وقد حدث بعد ذلك بجيلين ان أثارت هذه الحادثة نخوة الاسكندر ابن بريام ملك طروادة فعزم على ان يختطف زوجة له من هيلاس . وعلى هذا فقد خطف هيلينا ورفض اعادتها إلى (زوجها ملك اسبرطة) . وإلى هنا توقفت اعتداءات الخطف بين الفريقين . إلا ان الهلينيين قد جلبوا على أنفسهم بذلك مسئولية جسيمة حينما بدأوا بغزو آسيا . ولم يكن الشرقيون قد قاموا بغزو أوربا بعد.

ويعلق المؤرخون الفارسيون على هذا بقولهم « انه بينما يعتبر سبى النساء جريمة إلا انه من الحماقة الأصرار على الانتقام من أجله ... ويستطردون قائلين، اننا معشر الآسيويين، لم نتأثر باختطاف النساء، فى حين ان الهلينيين من أجل امرأة اسبرطية اعدوا اسطولا حربيا كبيرا، وقاموا بغزو آسيا، ودمروا دولة بريام . ويضيف المؤرخون الفرس . ومنذ

ذلك الحين ونحن ننظر إلى العالم الهلينى على انه عالم معاد لنا »

واخذا بهذه الرواية من تلك الوقائع فإن الفرس يردون خصومتهم الطويلة مع الهلينيين إلى سقوط طروادة، وفيما يتعلق بحادث « إيو » تعارضها الرواية الفينيقية التى تؤكد ان « إيو » لم تسب وانما ذهبت مع قائد السفينة الفينيقية بمحض ارادتها ويكفى هذا القدر من روايات الفرس والفينيقيين .

وتعليقا على هذه الرواية يقول هيرودوت :

« اما من جهتى فسوف لا ازج بنفسى فى هذا الخلاف بالتأييد أو بالرفض » وهو ما يدل على منهج هيرودوت وعيوبه فى عدم تحليله للروايات المختلفة .

ويستطرد هيرودوت قائلاً :

« وخلال روايتى سوف أولى البلدان الصغيرة اهتماما شأنها فى ذلك شأن البلدان الكبيرة، لأن البلدان التى كانت كبيرة فيما مضى غالبا ما أصبحت صغيرة، بينما تلك التى أزدهرت فى عصرى كانت صغيرة من قبل . ولما كنت ادرك ان حظ الانسان لا يدوم على حال فسوف لا أفرق بين هذين النوعين من البلدان » .

نتبين من العرض السابق ان هيرودوت أراد ان يعرض لوجهة نظر المؤرخين الفرس فى معرفة جذور العداء بين الفرس (الآسيويين)

والأغريق (الأوربيين) والذى تمخض عنه فى نهاية الأمر قيام الحروب بين الفرس والأغريق فى القرن الخامس قبل الميلاد .

وقد تركزت هذه الدوافع فى قيام كل من الفينيقيين (الآسيويين) والأغريق (الأوربيين) بتبادل عمليات خطف النساء حتى كانت حادثة خطف الأمير الطروادى للأميرة الأغريقية هيلينا التى أدت فى نهاية الأمر لقيام الأغريق بغزو بلد أسيوى (طروادة) وتدميرها فى القرن الثالث عشر ق . م الأمر الذى أعتبره المؤرخون الفرس بداية لعدائهم الطويل مع الأغريق . فكان غزو الفرس لبلاد اليونان فى القرن الـ خامس عشر ق. م رداً على الغزو الأغريقى لطروادة فى القرن الثالث عشر ق. م وفيما يتعلق بهذه الروايات الفارسية فإن هيرودوت لم يعلق عليها أو يبدى رأيه فيها . وهذا يأخذ على هيرودوت الذى كان لابد وأن يكون له رؤيته الخاصة وتحليله لدوافع هذا الصراع .

فمن وجهة نظرنا ونظر المؤرخين المحدثين فأن عمليات خطف النساء وان كان من الممكن حدوثها بالفعل إلا أنها لا يمكن أن تكون سببا فى اشتعال حرب مثل حرب طروادة التى استمرت لمدة عشر سنوات، وربما كانت هذه الحادثة مجرد ذريعة تذرع بها الأغريق لغزو طروادة، وان هناك دوافع أخرى سياسية واقتصادية أدت إلى قيام هذه الحرب خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ولا يمكن أيضاً أن نأخذ برواية المؤرخين الفرس التى أوردها هيرودوت كما هى فى ان سبب عدائهم للأغريق (الأوربيين) وقيامهم

بغزو بلاد اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد يرجع جذوره إلى قيام اليونانيين بغزو طروادة الآسيوية خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد لأن الأمبراطورية الفارسية خلال هذه الفترة البعيدة لم يكن لها وجود .

* وقد ورد فى روايات هيرودوت نقلا عن المؤرخين الفرس بعض الحقائق ومن ذلك ما ورد عن أصل الفينيقيين . فالرأى الراجح أنهم كانوا يعيشون فى شبه الجزيرة قبل هجرتهم إلى سواحل بلاد الشام . وأختلفت الآراء حول موطنهم الأصلى، والراجح أنهم جاءوا من منطقة الخليج العربى وبالتحديد من منطقة البحرين الحالية .

وربما كانت إشارة المؤرخين الفرس إلى أنهم من منطقة البحر الأحمر يرجع إلى اختلاط الأمر عليهم بسبب أسم « الفينيقيين » الذى اشتق من كلمة تعنى الصبغة الأرجوازية الحمراء .

كذلك اشارت هذه الروايات إلى النشاط التجارى الكبير الذى لعبه الفينيقيين فى البحر المتوسط . حيث كانوا يلعبون دور الوسيط التجارى بين الشرق (مصر – أشور) والغرب (اليونان) .

* ونلاحظ أن المؤرخين الفرس تأثروا بالنظم التى كانت سائدة فى الامبراطورية الفارسية خلال القرن الخامس قبل الميلاد حيث كانت هذه الامبراطورية مقسمة إلى ولايات . ولذلك اشاروا إلى أن مدينة « ارجوس » الأغريقية كانت ولاية من ولايات أقليم هيلاس . والواقع أن هيلاس هى التسمية التى اطلقها الهلينيين على بلادهم بمعنى أرض الهلينيين . وقد كانت هيلاس خلال حرب طروادة مقسمة إلى ممالك عديدة مثل مملكة

اثينا ومملكة اسبرطة ومملكة موكيناى وقد كانت ارجوس خلال هذه الفترة مملكة مستقلة وليست ولاية . وحتى خلال القرن الخامس قبل الميلاد كانت ارجوس دولة مدينة (Polis) ولم تكن فى يوم من الأيام ، ولاية ، وكان يجب على هيرودوت وهو الأغريقى العالم بنظم بلاده أن يصحح هذه المعلومة للمؤرخين الفرس، ولكنه لم يفعل .

غير أن أهم ما ورد بالنص السابق هو وجهة نظر هيرودوت فى تطور حركة التاريخ عندما ذكر أنه سيهتم بدراسة البلدان الصغيرة والكبيرة على حد سواء لأن حظ الانسان لا يدوم على حال .

وهذه الفكرة تشبه نظرية « ابن خلدون » العالم المسلم الذى جاء بعد هيرودوت بتسعة عشر قرن من الزمان والتى يقول فيها أن الدول والحضارات تمر بمراحل مثل الانسان فهى تولد وتمر بمرحلة الطفولة ثم الشباب ثم الرجولة ثم تهرم وتتدهور . وهو ما يدل على بعد نظر هيرودوت وعمق رؤيته للتطور التاريخى وفلسفته للتاريخ بشكل عام .

هيرودوت فى مصر

* عندما زار هيرودوت مصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد كانت ترزخ تحت الاحتلال الفارسى . ويبدو ان تاريخ مصر العتيد جعله يقوم بدراسة شاملة لها وتدوين هذه الدراسة فى كتابه الثانى . رغم أن مصر التى رآها هيرودوت، لم تكن مصر الفراعنة العظام لأن مجد مصر كان قد انهار فى ذلك الوقت .

* وقد امضى فى مصر ما لا يقل عن عامين تفقد فيها مصر من أقصى الشمال إلى أسوان جنوبا وقام بمسح جغرافى واجتماعى شامل لها .

* وقد كانت المعلومات التى جمعها هيرودوت عن مصر هى الجوهر والمصدر الأول، لعلم الدراسات المصرية القديمة، حتى مطلع القرن التاسع عشر، وقبل حل رموز الكتابة الهيروغليفية على يد العالم الفرنسى شامبليون .

مصادر ومنهج هيرودوت

* وقد كان هيرودوت يكتب تاريخ مصر معتمدا على ما يراه بعينيه ثم يحاول أن يسأل ويستفسر من الكهنة المصريين عن بعض الظواهر التى تلفت انتباهه . وهذا منهج استقرائى سليم طبقه فى كتابه الثانى .

* وفى الفترة التى زار فيها هيرودوت مصر كانت توجد بمصر جالية أغريقية فى منف ونقراطيس سواء من التجار أو الجنود المرتزقة الذين جاءوا إلى مصر منذ عهد ملوك الأسرة الصاوية وقد أدى اختلاط هؤلاء الأغريق بالمصريين إلى معرفتهم للكثير من أسرار الحضارة المصرية وهو ما أفاد هيرودوت كثيرا فى معلوماته عن مصر .

* ويتميز الجزء الذى اعتمد فيه « هيرودوت » على المشاهدة والتسجيل الفورى بالدقة والثقة، اما الجزء الذى اعتمد فيه على نقل ما يسمعه من أحداث تاريخية قديمة لم يعاصرها فهو يتميز بالغموض وعدم

الدقة لانه اعتمد على روايات الآخرين ومعظمهم من انصاف المتعلمين، والذين يلمون بقدر ضئيل من اللغة الأغريقية، وربما أحدث ذلك سوء فهم بين هيرودوت وبينهم .

كذلك اعتمد هيرودوت فى كتابة تاريخ مصر القديم على روايات وشروح التراجمة المصريين الذين يحترفون أصطحاب السواح الأجانب حول آثارهم ويمطرونهم بمعلومات من أجل تسليتهم وأمتاعهم على حساب الحقيقة التاريخية . ولهذا جاء هذا الكتاب مزيجا متنوعا من الحواديت الشعبية والأساطير القومية المحلية .

* ومما يعاب على هيرودوت جهله بلغات المصريين ولو كان على علم بهذه اللغة لتجنب الكثير من المغالطات التاريخية التى نقلها عن المصريين سواء كانوا كهنة أو تراجمة . وقد حاول هيرودوت تبرير هذا الخطأ حينما قال فى أكثر من موضع: « ان واجبى هو ان اسجل كل ما يقال ولكنى لست مقيداً بتصديق كل ما يقال » . وهذه العبارة تكشف أنه جمع قدرا كبيرا من مادته من أفواه الناس فمزج الحقيقة بالخيال دون ان ينقد هذه المادة أو يحللها . مع اعترافه بان هذه المعلومات التى يحصل عليها من الناس ليست حقيقية . وفيما يلى بعض النصوص المقتبسة من كتاب هيرودوت عن مصر :

مصر مهد الحضارة (فصول ٤٨ - ٥٨)

« ان الطقوس الدينية فيما عدا عنصر الجوقة فى الأحتفال بـ

«ديونيسوس» تتشابه عمليا فى كافة تفصيلاتها مع الطقوس الهلينية . ولا أستطيع أن أسلم بأن التشابه بين طقوس ديونيسوس فى مصر وهيلاس مجرد صدفة. والحقيقة ان اسماء سائر الآلهة تقريبا قد وفدت إلى هيلاس من مصر . ولقد أقمت الحقيقة العامة عن أصلها غير الهلينى بالبحث والتقصى، وفى رأى أن موطنها الأصلى من المحتمل أن يكون مصر إلى حد كبير . لقد ذكرت فعلا ان أسماء سائر الأرباب الهلينية الأخرى محلية فى مصر باستثناء « بوسيدون » و « هيرا » هذا أنا أكرر ببساطة عبارات المصريين أنفسهم ».

وفيما تعريف ببعض الكلمات التى وردت فى هذا النص :

الجوقة أو (الكورس) بدأ ظهورهم فى المسرح اليونانى فى احتفالات ديونيسوس . وهم مجموعة من الراقصين والمنشدين تروى قصص الآلهة والأبطال فى أعياد الآله ديونيسوس .

ديونيسوس هو اله الخمر والمجون عند الأغريق .

الهلينية هو الأسم الذى اطلقه الأغريق على أنفسهم نسبة إلى جدهم هيلين .

هيلاس هو الأسم الذى اطلقه الأغريق على أى مكان يستوطنون فيه بصفة دائمة ويمارسون فيه مختلف مظاهر الحياة الأغريقية .

بوسيدون هو اله البحر عند الأغريق .

هيرا هى زوجة زيوس كبير الآلهة عند الأغريق.

نفهم من هذه الرواية أن هيرودوت يرى أن الآلهة الأغريقية كانت فى الأصل مصرية انتقلت إلى بلاد اليونان من مصر وتفسير ذلك :

أن الأغـريق المقـيـمين فى مصـر حـاولوا منذ العـصـر الصـاوى والفارسى ان يشبهوا آلهـتهم الأغريقيـة بالآلهـة المصريـة التى كانت تعبد فى مصر فمثلا شبهوا الإلّه « رع » إلّه الشمس المصرى بالإلّه هليوس إلّه الشمس الأغريقى. كما شبهوا الإلّه « تحوتى » رب العلم والمعرفة المصرى بالإلّه الأغريقى هرميس آله الحكمة . وشبهوا الإلّه المصرى حورس بالآله الأغـريقى أبوللون . وهكذا يبـدو ان هيـرودوت تأثر فى رأيه بأن الآلهـة الأغـريقـيـة كـانت فى الأصل مصـرية بالمعـتـقـدات الدينيـة السائدة بين الجاليات الأغريقية الموجودة فى مصر منذ العصر الصاوى . هذا فضلا عن تأثيره بماض مصر العريق .

الذى كـان له جـاذبيـة خاصـة على هيرودت وامـثـاله من الرحـالة الأغريق الذين زاروا مصر قبل وبعد وشاهدوا آثارها التى ابهرتهم واستقوا الكثيـر من مظاهر هذه الحـضـارة وهناك اشارات كـثيـرة تدل على ذلك فالفيلسوف الأغريقى افلاطون فى احدى محـاوراته الفلسفية يجعل احد الكهنـة المصريين يقول للمشـرع الأثينى « سولون » الذى زار مصـر فى القرن السـادس ق . م « انكم أطفال أيها اليونان (بالقيـاس إلى الحـضارة المصرية) . كذلك نقرأ عند ارسطو ان « مصر هى البلد الذى نشأت فيه

الرياضيات ، كذلك زار كثير من عمالقة الفكر الأغريقى مصر مثل فيثاغورث وطاليس وافلاطون لكى يتزودوا بعلومها وحكمتها .

وربما كون هيرودوت هذا الرأى نتيجة للمشاعر الدينية العميقة التى كان يتمتع بها المصريين ولذلك لا عجب ان يذكر هيرودوت ان الآلهة الهلينية كانت مصرية الأصل وانهم تعلموا الديانة من المصريين مثلما تعلموا منهم الرياضيات والفلسفة والطب وغيرها .

وان كان هيرودت فى نهاية حديثه يذكر ان هذه الرواية « نقلها عن المصريين » . وربما يكون فى ذلك ما يدل على وجود بعض الشك فى صحتها عند هيرودوت أو انه أراد ان يخلى مسئوليته عن مصداقية هذه الرواية، ولكن دون ان يقدم اى تحليل أو نقد لها ينسب صحة أو عدم صحة هذه الرواية .

وفى رواية اخرى يقول هيرودوت « ان كل مصر كانت تغطيها مياه البحر المتوسط فيما عدا طيبة وان الأرض الواقعة حول بحيرة موريس (قارون) كانت مغطاة بالمياه تماما ومليئة بالتماسيح . والزائر يستطيع ان يدرك ان مصر هبة النيل، لانها أرض كونها الطمى القادم مع مياه الفيضان ».

والواقع أن طيبة التى ذكرها هيرودوت من ابرز عواصم مصر القديمة ومكانها الآن مدينة الأقصر أكبر مدينة فى العالم تحوى آثارا قديمة وهى تقع فى أقصى جنوب مصر، كانت معقلاً للحركات القومية

المصرية ضد المحتلين الأجانب . وربما كان المقصود بطيبة اقليم مصر الجنوبى الذى اطلق عليه هذا الاسم أيضاً . اما بحيرة موريس فتقع فى مديرية الفيوم التى هى عبارة عن منخفض كبير تصل بينه وبين النيل ترعة تعرف باسم بحر يوسف كانت تصب فى هذا المنخفض فكانت تحوله فى أيام الأسر الأولى الفرعونية إلى « بحيرة » ترتفع وتنخفض مع منسوب مياه النهر . وقد اطلق هيرودوت على هذه البحيرة اسم بحيرة موريس نسبة إلى أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة الذى اقام سداً عظيما له أبواب عند رأس المنخفض لتنظيم دخول المياه إليه وخروجها منه .

ويبدو ان هذه المنطقة كانت تعرف دائما باسم البحيرة فالاسم الذى تعرف به هذه المنطقة اليوم « الفيوم » كلمة قبطية قديمة معناها البحيرة والاسم الذى اطلقه الأغريق عليها (hé limen) يعتبر ترجمة حرفية لهذه الكلمة المصرية .

وبالفعل كانت هذه البحيرة فى الزمن الذى زار فيه هيرودوت مصر تمتد فى أغلب أجزاء الفيوم حتى جاء البطالمة فى عهد الملك بطليموس الثانى (٢٨٤ - ٢٤٦ ق.م) وقاموا بتجفيف مساحات كبيرة من الأراضى المغمورة بالمياه وقاموا باستصلاحها وزراعتها .

* وقد كانت هذه البحيرة مليئة بالتماسيح كما ذكر هيرودوت وكان التمساح هو معبود أهل هذه المنطقة ولذلك أطلق الأغريق على هذه المنطقة اسم (كروكوديلويوليس) أى مدينة التمساح .

* اما مقولة هيرودوت بان البحر كان يغطى جميع انحاء مصر ما عدا منطقة طيبة .

فهذا الرأى يمكن تفنيده على الأقل بالنسبة للعصور التاريخية الفرعونية لأنه كان موجود فى الدلتا مدن كثيرة عامرة بالحضارة مثل «تانيس» ومنف وربما كان هذا الوصف الجغرافى ينطبق على مصر فى عصورها المطيرة وقد يكون هيرودوت وقع فريسة لبعض المضللين الذين ذكروا له هذه الرواية . وربما كان هؤلاء من كهنة طيبة الذين كانوا يعتزون بمدينتهم التى كانت بالفعل مركز القومية المصرية . فقصدوا بهذه الرواية ان مدينتهم طيبة هى أصل مصر .

* وفيما يتعلق بالمقولة الشهيرة للمؤرخ هيرودوت بان « مصر هبة النيل » فهى تحتوى على جانب من الحقيقة وليست كل الحقيقة . ذلك اننا لا يمكن ان نغفل فضل نهر النيل على مصر والمصريين من حيث انه أدى لاستقرارهم واقامة مجتمعات قروية زراعية ساعدت على ازدهار الحضارة فى مصر قبل غيرها من الكثير من بلدان العالم .

ولكن نهر النيل قبل ان يأتى إلى مصر فانه يمر بعدة بلدان افريقية ومع ذلك لم تقم بهذه البلدان حضارات مثل الحضارة المصرية القديمة . ومعنى ذلك ان وجود نهر النيل وحده فى مصر لم يكن كافيا لإقامة هذه الحضارة ولابد وان يكون هناك عوامل أدت لقيام الحضارة فى مصر بالاضافة لوجود نهر النيل ومن أهم هذه العوامل الشعب المصرى نفسه

الذى بذل أفراده جهودا خارقة فى ترويض نهر النيل وفيضاناته المدمر باقامة السدود والمصارف المائية والترع التى ساعدتهم على الاستفادة من هذا النهر .

وفيما يتعلق بعبارته الأخيرة بان الطمى القادم مع مياه الفيضان هو الذى كون أرض مصر الخصبة فهى عبارة سليمة . لأن الفيضان كان يحمل مواد غرينية طينية ترسبت على ضفتى النهر وكونت تربة خصبة من أجود أنواع الأراضى الصالحة للزراعة .

رأى هيرودوت فى بناء الأهرامات الكبيرة

* وقد سجل هيرودوت صوت الشعب المصرى الموصود بالأغلال من ظلم الحكام منذ الآف السنين عند ذكر العبارة التالية :

روى التراجمة لهيرودوت فظائع الملك خوفو ورووا له عن الثلاثين عام من العبودية والسخرة من أجل بناء مقبرته الضخمة (والتى هى هرمه الأكبر) .

‹‹ وذكر هيرودوت ان أحد التراجمة روى له ان تكاليف البصل والثوم والفجل التى استهلكها العمال طوال فترة بناء الهرم كانت مسجلة على هرم خفرع ››

والواقع ان هذه الرواية تبعد عن الحقيقة . ويبدو ان هيرودوت فشل فى أن يفهم معنى ان يستعبد ملك شعبه لمدة ثلاثين عاما من السخرة لكى يبنوا له مقبرة على شكل هرم، فقد تبدوا الأهرامات للأغريق وغيرهم من الشعوب الغربية مجرد مقابر للطغاة العتاه الذين استعبدوا شعوبهم وسخروهم لكى يبنوها ارضاء لنزعة الكبرياء والسيطرة عندهم .

فلم يفهم هيرودوت ان الفرعون المصرى كان فى نظر المصريين الوسيط بينهم وبين الآلهة، وان الفرعون بعد وفاته يصبح إلهاً فالاهرامات عند المصريين كانت مقابر للفرعون الإله الذى يحى بعد موته ويظل خالداً . وتبعا لذلك فان المصريين بنوا هذه الأهرامات حبا فى الفرعون ورغبة منهم فى التقرب إليه وليس استعباداً .

كذلك فان هناك من يرى ان الفرعون لم يكن يستعبد المصريين فى بناء اهراماته وانما كان يحاول ان يقضى على مشكلة البطالة خلال شهور الفيضان وانه كان يعطى هؤلاء المصريين المتعطلين خلال تلك الفترة أجوراً عن عملهم . وقد اشار هيرودوت بنفسه إلى تكاليف البصل والثوم والفجل التى استهلكها المصريين والتى تدل على عدم الاستعباد وتؤيد الرأى السابق .

وان كنا لم نعثر فى هرم خفرع على ما يؤيد رواية هيرودوت وكان عليه لو أنه كان يعرف اللغة المصرية القديمة ان يتأكد من هذه الحقيقة ولاسيما وانه زار منطقة الأهرامات الكبرى .

كما أن بناء الهرم من ناحية أخرى كانت بمثابة مهرجان كبير للفنانين الذين جاءوا لاستعراض مواهبهم أمام الفرعون .

كذلك فان بناء مساكن وأهرامات صغيرة للمهندسين والعمال بجانب مقبرة (هرم) الملك دليل على الحب وليس الاستعباد . وفى نفس الوقت تدل على وجود تنظيم إدارى فى مصر على أعلى مستوى، على النحو الذى أدى لتنظيم إعاشه اعداد كبيرة من العمل بالقرب من الهرم لفترة طويلة .

وأخيراً فان ما ذكره « هيرودوت » عن مدة بناء الهرم خلال حكم الملك خوفو الذى قدره بثلاثين عاما غير دقيق لان هذا الملك لم يحكم سوى عشرون عاما فقط .

والواقع ان هيرودوت وقع فى هذه الأخطاء لعدة أسباب هى :

(١) عدم معرفته بالعقيدة المصرية القديمة التى تجعل من الفرعون إله ووسيط بين الآلهة والبشر .

(٢) عدم معرفته باللغة المصرية القديمة .

(٣) اعتماده على المترجمين الذين كانوا لا يهتمون بالحقائق التاريخية بقدر اهتمامهم بالإثارة والتشويق .



Pl. XXIII.

ويلى هيرودوت المؤرخ الاثينى ثوكيديديس الذى عاش فى القرن الخامس (حوالى ٤٦٠ - ٤٠٠ ق.م) ويعتبر من أعظم المؤرخين القدماء. وقد ارخ للحروب البلوبونيزية التى دارت رحاها بين أكبر قوتين فى بلاد اليونان اثينا واسبرطه . وقد اشترك توكيديديس فى هذه الحرب ثم نفى من وطنه اثينا لتقصيره فى نجدة احدى المستعمرات مما أدى إلى سقوطها فى يد الاعداء . وقد عكف فى منفاه الذى استغرق عدة سنوات على الكتابة، مستمداً معلوماته من مشاهداته الشخصية والسجلات الرسمية وشهود العيان وخطب القواد والساسة . وعالجها بامانه ودقة وعمق معالجة المؤرخ الناقد الحصيف المنصف، ولذلك كله اطلق عليه الدارسون فى العصر الحديث لقب « ابى النقد التاريخى » لانه كان أول من أخضع التاريخ للنقد والتمحيص الدقيق . وقد اهتم بذكر اسباب الحرب وتقلباتها وتجنب الخرافات، وكانت غايته الأولى ان يكون صادقا قدر الامكان مهما كانت الظروف فمع انه اثينى الا انه لم يخفى اعجابه باسبرطه . ومن ناحية أخرى تنم فلسفته التاريخية عن ايمانه بفكرة التطورية التى تعنى عنده امكانية التكرار فى الشئون الانسانية اى اذا تكررت الظروف المتشابهة فالنتائج قد تكون واحدة . ومن الظروف التى يترتب على المؤرخ ان يحسب حسابها الشهوات الانسانية، وهذه لا تتغير تغيرا كبيرا، بإختلاف الزمان والمكان . وهكذا قد تساعد دراسة الماضى المؤرخ على ان يتنبأ بنتائج الصراع بين البشر .

وكان « ثوكيديدس » الوحيد من الكتاب القدامى الذى اعتمد على الشواهد الأثرية لتبيان أصول اليونانيين .

ولكن الباحثين يأخذون على « ثوكيديدس » إسرافه فى الاستشهاد بالخطب التى يتصور كأنها جرت على لسان الزعماء . كما ان اسلوبه كان صعب معقد ويفتقر إلى السلاسة والرونق وليس طريفا شيقاً مثل هيرودوت. ولكن تاريخه كما وصفه « كتاب يقتنى إلى الأبد » .

٢ - *الخطباء* :

وهناك مصدر أدبى بدأ يتوافر لدينا عن التاريخ الأغريقى منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وهو خطب الخطباء الأغريق سواء أكانت خطباً تمس القضايا السياسية مباشرة أم خطباً القيت فى المحاكم وفى هذه الحالة تلقى الخطب أضواء على حالة المجتمع ونستطيع أن نستقى منها معلومات قيمة عن السنوات الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد .

على أن أهمية الخطباء تبدو على نحو خاص بالنسبة لتاريخ القرن الرابع قبل الميلاد من خلال ايسوقراط (Isocrates) (٤٣٦ - ٣٣٨ق.م) وكان أول خطاب لايسوقراط وأهمها هى خطبة « المحفل » التى ظهرت فى عام ٣٨٠ ق. م، وفيها دعوة الى اتحاد الأغريق فى وجه الأخطار الخارجية . وفى عام ٣٥٥ ق . م . ألقى خطبته عن السلام وخطبة «الاريوباجى» والثانية مكملة للأولى وكلتا الخطبتين هامتان لمعرفة

الأحوال الداخلية فى أثينا عند نشوب الصراع بينها وبين «فيليب الثانى» ملك مقدونيا .

أما «ديموثنيز» (Demosthenes) (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) فقد كان أعظم الخطباء الأغريق على الإطلاق، وكان على العكس من «أيسوقراط» مناهضا لمقدونيا وملكها فليب الثانى الذى كان ينادى بتوحيد الأغريق ضد خطر الغزو الفارسى، وقد بدأ يشير فى خطبه الى خطر مقدونيا على حرية المدن الأغريقية، محاولا أن يجمع الرأى العام الأغريقى للاتحاد ضد خطر مقدونيا بوصف كونه قريباً اليهم وجديدا عليهم فى حين ان خطر الفرس بعيد عنهم وسبق لهم ان واجهوه وقضوا عليه .

٣ - الفلاسفة :

وتعتبر الفلسفة السياسية الأغريقية مصدراً أصيلاً لدراسة نظام الحكم لدى الأغريق، وهى جانب على قدر عظيم من الأهمية فى التراث الفكرى الذى خلفه الأغريق . ويبدو أن الفلسفة السياسية الأغريقية بدأت بأفلاطون . ومن بين محاورات افلاطون نجد أنه تناول الفلسفة السياسية بصورة مباشرة فى (الجمهورية) التى كتبها فى صدر شبابه، وكذلك فى محاورة (القوانين) التى كتبها فى شيخوخته ثم فى محاورة (السياسى) التى ترجع الى فتر ما بين الجمهورية و (القوانين)، وفى هذه المحاولات الثلاث يبرز نظام (المدينة الحرة) .

أمـا ارسطو (Aristotle) (٣٨٤ - ٣٢٢ ق ٠ م) وهو صـــاحب المصنفات المتعددة فى شتى فروع المعرفة فإن فكره السياسى يتجلى فى كتابه الخالد (السياسية) . وهذا الكتاب يشتمل على ثمانى مقالات تبحث أولاهما فى تعريف الدولة وتكوينها، وثانيتها فى وصف الجماعات السياسية التى كانت قائمة، وتهتم المقالة الثالثة بتصنيف النظام السياسى من الملكية (بأنواعها) والديمقراطية والاوليجركية (حكم الاقلية)، وتبحث المقال الرابعة فى النظم الدستورية الرئيسية، والخامس فى الثورات وأسبابها العامة، والسادسة فى تأليف الحكومات الديمقراطية وكذا الاوليجركية، والسابع فى الخير الاسمى للفرد والدولة والثامنة فى النظم المثالية للتربية، وكذلك درس ارسطو النظم الدستورية لعدد من المدن الاغريقية يزيد عن المائة والخمسين، لكن من سوء الحظ أن ضاعت كل بحوث ارسطو عن الدساتير الأغريقية ولم يصلنا الا بحث واحد هو نظام الاثينيين الذى عثر عليه فى بردية مطولة فى مصر فى عام ١٨٩٠م ولعل هذا البحث هو أهم بحوث ارسطو عن هذه الدساتير .

٤ - الشعراء

ولقد كان الشعر الأغريقى مصدراً هاماً للتاريخ حيث كان له الفضل فى القاء الضوء على الأحوال الاجتماعية والسياسية للعالم الأغريقى ومراحل تطوره المتعاقبة ولا أدل على ذلك من الشعر الذى نظمه «هوميروس» فى ملحمتيه الخالدتين (الالياذة Iliad) (والاوديسه -Odys

sey) اللتين تعتبران مصدراً تاريخيا نستقى منه المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والحضارية لبلاد الأغريق القديمة فى عصورها السحيقة كتاب المسرح ·

أولا : التراجيديا :

ومنذ حوالى القرن الخامس قبل الميلاد بدأ معظم الشعراء يتجهون نحو المسرح وقد رهب المسرح اليونانى بثلاثة من الشعراء هم على التوالى:

١ - ايسخيلوس ٥٢٥ - ٤٥٦ ق٠م

كان محافصا يتمسك بشدة بالتقاليد، شديد التدين حتى أنه ينسب كل شىء على الأرض لمشيئة الآلهة، ويقال أنه ترك وراءه ثروة من المؤلفات بلغ عددها ثمانين رواية، بقى منها سبع أشهرها «بروميثيوس موثقاً فى الاغلال» Vinetus Prometheus ، وثلاثية «اجا ممنون» الشهيرة ·

٢ - سوفوكليس Sophocles ٤٩٦ - ٤٠٦ ق ٠ م

كان «سوفوكليس» شاعراً محافظاً وكان معتدلاً فى نظرته إلى علاقة الآلهة بمصائر البشر، وقد اشتهر «سوفوكليس» عقب فوز مسرحيته الشهيرة (انتيجونى) وتصور هذه المسرحية الصراع الذى يدور فى صدر البطل بين الولاء للصديق والولاء للوطن، وخاصة إذا تعارض كل منهما مع

الآخر، والشاعر ينتهى الى أن الجندى يجب أن يكون ولاؤه لشىء واحد فقط هو طاعة أوامر قائده .

٣ - يوربيديس Euripides **٤٨٥ - ٤٠٦ ق٠م**

وكان ثائراً ومجددا وواقعيا، وانتهى به المقام ببلاط ملك مقدونيا - حيث كتب مسرحيته الخالدة التى مجد فيها ملكها «ارخيلاوس -Archelaus» كما كتب هناك أشهر مسرحياته وهى «الباخيات» (Bacchae) .

ثانيا: الكوميديا

وسيد هذا النوع من الأدب بلا منازع اريستوفانيس Aristophanes (٤٤٥ - ٣٨٥ ق٠م) .

وقد تخصص «اريستوفانيس» فى مهاجمة السياسيين ثم تحولت رواياته الى التشهير والسخرية الشخصية، وبلغ من حرية الفكر أن أظهر على المسرح قادة «أثينا» الكبار بصورة مضحكة وسخر منهم ومن آرائهم، ومن أعمال «اريستوفانيس» احدى عشرة رواية أهمها السحب التى سخر فيها من «سقراط» .

الاسطورة عند اليونان

تعتبر الأساطير المرحلة الأولى من مراحل تطور الفكر البشرى، وأن لم تخل من الحقائق فالانسان فى عصوره المبكرة كانت تحيره رؤية

ظواهر وأشياء معينة فكان عليه أن يعمل فكره وخياله لتفسير هذه الظواهر أو تلك الأشياء .

ورغم أن الأساطير لا تعدو أن تكون حكايات مسلية بالنسبة للرجل العادى فى عصرنا الحديث الا انها فى نظر المتخصصين فى الدراسات اليونانية ترتقى ألى حد الوثائق فهى تعكس أحوال الأغريق القدماء وتعبر عن أفكارهم وآرائهم فى الحياة والطبيعة والآله . فمن اجل فهم التراث الأغريقى أو تذوقه يجب الألمام بالأساطير اليونانية .

مصادر الأسطورة اليونانية

(١) ويعتبر هوميروس أهم مصادرنا عن الأساطير اليونانية من خلال كتابتة للألياذة والأوديسة .

(٢) هيسيود من خلال قصيدتى «الأيام والأعمال» «وأنساب الآلهة».

اصل الأساطير

(١) ومعظم المؤرخين يجمعون على أن الأساطير اليونانية القديمة قد تأثرت بأساطير الشرق الأدنى وهو ما يتضح فى التشابه الكبير بين الألياذة وقصة جلجامش الأوديسه وقصة الملاح المصرى .

(٢) الحروب الكثيرة التى خاضها الأمراء والملوك فى العصر الموكينى وكانت بمثابة بطولات رائعة لهم .

وقد تناقل منشدى الأغاني هذه البطولات واضافوا عليها هالة اسطورية لتمجيد ابطالها .

(٣) كما تأثرت الأساطير اليونانية ببعض الأساطير الكريتية مثل اسطور الملك مينوس والثور ،

أنواع الأساطير

وهناك ثلاث أنواع من الأساطير هى

(١) الحزافة البحتة Myths

وهى وليدة التفكير الخيالى فى نشأة الكون واصل الآلهة فعلى سبيل المثال حاول اليونانيون تفسير ظاهرة شروق وغروب الشمس فكان تفسيرهم لها أن الشمس تمتطى عربة تجرها جياد لامعة فى اثناء شروقها اما تفسيرهم لظاهرة الغروب فهى انها عند عودتها إلى مقرها كانت تبحر فى كأس هائل عبر نهر عظيم يحيط بالأرض اسمه أوقيانوس اى المحيط.

(٢) القصص البطولية Saga

كلمة اسكندناوية معناها «قصة» وتحتوى على قدر كبير من الخرافات ولكنها تقوم على أساس من الواقع التاريخى وبعبارة أخرى هى قصص يمتزج فيها الخيال بالحقيقة التاريخية .

كما ورد فى الألياذة من بطولات اخيليوس ففيها شىء من الواقع

(الاكتشافت الأثرية أكدته) ولكنها تحتوى على كثير من الخرافات مثل تدخل الآلهة فى هذه الحرب .

(٣) الحكايات الشعبية Marchen

وهى حكايات لا يعرف لها مؤلف تنتقل من جيل لآخر ومن شعب لآخر: مثل قصة العملاق ذو العين الواحدة وبلاد الأقزام وملاحى السفينة ارجو .

وهذه الحكايات نشأت فقط للتسلية والترويح عن النفس، ولكنها ترمى إلى التأكيد على حقيقة عامة ولعل من الجدير بالملاحظة فى هذا النوع من الأساطير هو ذلك التشابه الموجود بين بعض الأفكار الرئيسية فى مختلف الحكايات الشعبية بجميع انحاء العالم .

وقد تمتزج هذه الأنواع الثلاثة من الأساطير فى أى قصة يونانية واحدة إذا كانت طويلة ومتشعبة موغلة فى القدم .

مثـــال

حرب طروادة تستند أساسا على حرب واقعية بين الآخيين والرواديين فهى إلى هنا تعتبر قصة بطولية Saga لكنها كثيراً ما تتناول أعمال الآلهة التى تدخل فى نطاق الخرافة البحتة myths، كما تتضمن من وقت من وقت لآخر وقائع تدخل فى صميم الحكاية الشعبية Marchen.

النظريات الحديثة فى تفسير الإسطورة اليونانية

١ - نظرية التفسير الدينى

وأصحابها يرون ان الأساطير فى الأصل كانت مجموعة، من القصص الدينية عرفتها الشعوب على مر السنين وورد ذكرها عن كل شعب فى كتبه السماوية . وهذا هو سبب التشابه بينها عند مختلف الشعوب فأعمال البطل هيرامليس لا تختلف عن اعمال شمشون الجبار .

٢ - نظرية التفسير التاريخى

ويرى اصحابها ان ابطالها كانوا فى الأصل بشرا حقيقيين قاموا بأعمال عظيمة وأدوا خدمات جليلة للناس فنسج الخيال الشعبى قصصا تمجيداً لهم ورفعهم لمصاف الآلهة مثل اله الرياح «ابولوس A eolus» الذى كان فى الأصل ملكا علم شعبه استعمال الاشرعة والتنبأ بالطقس واتجاه الرياح .

٣ - نظرية التفسير الرمزى

وهى تعبر بطريقة رمزية عن فكرة دينية أو اخلاقية أو فلسفية وبمرور الزمن فقدت معناها الرمزى واحتفظت بالمعنى الحرفى مثل اسطورة بروميثيوس الذى (يسرق النار للبشر) فيقوم الآله تريوس بتقيده بسلاسل واطلق سر ينهش كبده كل يوم .

اثر الإسطورة فى التاريخ اليونانى

تعتبر الأساطير مصدراً هاماً من مصادر التاريخ اليونانى فقد كانت اسطورة هوميروس بالالياذة هى الدافع القوى الذى دفع عالم الآثار هنرى شليمان للقيام باكتشافاته من اجل العثور على مدينة طروادة وبذلك أصبحت هذه الاسطورة واقعة حقيقية بعد الكشف عن مدينة طروادة، ولم تعد مجرد اسطورة من نسج الخيال ومن استعراض قصة ملاحو السفينة ارجو يتضح لنا ان اليونانيين حاولوا فتح طروادة من اجل السيطرة على تجارة البحر الأسود نظراً للفقر الذى كانت تعانى منه بلاد اليونان وذلك فى فترة سبقت حصار طروادة .

ومن خلال قصة الميناتور ودلالتها نتبين تخلص بلاد اليونان من سيطرة كريت عليها .

كذلك كانت للأساطير تأثيرات كبيرة على الفن فى بلاد اليونان . فقد كانت هذه الأساطير هى الأساس الذى استنبط منه الشعراء وكتاب المسرح الكثير من اشعارهم وقصائدهم .

فقد كانت القصص التى دارت حول حرب طروادة الأساس التى استمر منه «ايسخيليوس» ثلاث مسرحيات من مسرحياته السبعة الشهيرة . كما استمد منها سوفوكليس جميع مسرحياته .

كما كانت الأساطير مصدراً عنياً لفن النحت اليونانى فقد اغلب المنحوتات المعمارية على مقصات المعابد والافاريز تحتوى على تصاوير اسطورية . «مثل منظر اثينا ونزاعها مع بوسيدون فى البارثينون باثينا» .

كذلك توجد فى معبد ، ارتميس بجزيرة كوركيرة صورة ضخمة لـ «ميدوسا» وعلى يمينها صورة صغيرة لابنها وعلى يسارها صورة للحصان بيجاسوس .

كذلك اثرت الاسطورة فى الفلسفة وخاصة عند افلاطون، الذى صور النفس البشرية فى كتاب الجمهورية على هيئة كائن ذى مظهر بشرى خارجى ولكن يحوى فى داخله انسانا فاسدا وحيوانا خرافيا له الف رأس كما صور النفس البشرية بعربة يقودها قائد جوادان احدهما أبيض كريم المنبت (الاصل) والآخر أسود ردئ الأصل .

وكان للأسطورة تأثير كبير على الديانة اليونانية فالهة اليونان الاثنى عشرة فى حقيقة امرها لم تكن سوى مجموعة من الأساطير من نسج خيال البشر وتداولات عبر الأجيال حتى صدق الناس انها حقيقة فعبدوها .

كما اثرت الأسطورة على عادات وتقاليد اليونان فكان اليونانى قبل أن يأكل يقدم جزء من طعامه قربان للآلهة . كما كان مرض شخص يعنى عندهم ان المريض حل فى نفسه روح غريب وان من يلمسه يلبسه ذلك الروح . وكان اليونانيون يؤمنون ويعلمون أولادهم بوجود أنواع لا حصر لها من العفاريت .

وعلى هذا النحو لا يمكننا فهم التاريخ اليونانى وعلوم وآداب وفنون وعادات وتقاليد اليونان فهماً جيداً إلا إذا درسنا أساطيرهم وتفهمناها جيداً.